

التكامل الأخوي في قصة موسى وهارون عليهما السلام - دراسة تطبيقية معاصرة

د. علي أحمد مثنى مثنى المحرابي

قسم الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن، كلية الضالع الجامعية، جامعة عدن، الجمهورية اليمنية

dr.alialmehrab@gmail.com

تاريخ تسلم البحث: ٢٠٢٥/١٢/٥م

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٥/١٢/٣٠م

الملخص:

يتناول البحث مفهوم التكامل الأخوي من خلال النموذج القرآني الرفيع لعلاقة موسى وهارون عليهما السلام، بوصفه أنموذجاً إيمانياً وأخلاقياً راقياً يجسد التعاون، والتكامل، وتوزيع الأدوار في سبيل تحقيق الأهداف الدعوية والغايات النبوية. وقد جاءت الدراسة بأسلوب تأصيلي يستند إلى النصوص القرآنية والسنة النبوية وأقوال سلف الأمة، يستنبط منها القيم الأخلاقية بشتى مجالات الحياة وأهمها: الدينية والسياسية والاجتماعية، ثم يُسقطها على الواقع المعاصر لبيان أثر التكامل الأخوي في الفرد والأسرة، والمجتمع، والدعوة، والمؤسسات الحكومية كذلك. وقد توصلت الدراسة إلى أن التكامل بين الإخوة في العمل، يحقق وحدة الهدف، ويعزز الثقة المتبادلة، ويمنح الفريق الميداني الرسمي وغير الرسمي، توازناً بين القوة العلمية والبيانية والتنفيذية. كما أظهرت أن علاقة موسى وهارون عليهما السلام كانت قائمة على التفاهم العميق، وتوزيع المهام، والرحمة المتبادلة، ما جعلها نموذجاً خالداً لكل شراكة أخوية غايتها الفلاح في الدنيا والآخرة. واختتم البحث بجملة من النتائج والتوصيات التي تدعو إلى ترسيخ ثقافة التكامل والتعاون الأخوي في مختلف مجالات الحياة.

الكلمات المفتاحية: التكامل الأخوي، التطبيقات المعاصرة.

**Brotherly Integration in the Story of Mosa and Haron
(peace be upon them)**

(A Contemporary Practical Study)

Dr. Ali Ahmed Mathna Mathna Al-Mahrabi

**Department of Islamic Studies and Qur'anic Sciences, Al-Dhalea
University College, University of Aden, Republic of Yemen**

dr.alialmehrab@gmail.com

Date of Receiving the Research: 5/12/2025 Research Acceptance Date: 30/12/2025

Abstract:

The study addresses the concept of brotherly integration through the lofty Qur'anic model of the relationship between Mosa and Haron, peace be upon them, as a faith-based and ethical paradigm that embodies cooperation, integration, and the distribution of roles in pursuit of da'wah objectives and prophetic goals. The study adopts a foundational Ta'sil approach based on Qur'anic texts, the Prophetic Sunnah, and the statements of the righteous predecessors of the Ummah, from which it derives moral values across various spheres of life – most notably the religious, political, and social domains – and then applies them to the contemporary context to demonstrate the impact of brotherly integration on the individual, the family, society, da'wah, and governmental institutions.

The study concludes that integration among colleagues in collective work achieves unity of purpose, enhances mutual trust, and grants official and unofficial field teams a balance between scientific, rhetorical, and practical strength. It also shows that the relationship between Mosa and Haron, peace be upon them, was founded on deep mutual understanding, the distribution of tasks, and reciprocal compassion, making them an enduring model for every brotherly partnership whose aim is success in this worldly life and the afterlife. The study concludes with a number of findings and recommendations that call for the consolidation of a culture of brotherly integration and cooperation in various fields of life.

Keywords: *Integration Brotherly, Applications Contemporary.*

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل الأخوة رباطاً من الإيمان، وزيّنها بروح التعاون والتكامل في سبيل الخير، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد.

إنّ من أعظم النماذج التي عرضها القرآن الكريم في العلاقات الإنسانية والأسرية، العلاقة المباركة بين نبيّ الله موسى وأخيه هارون عليهما السلام، تلك العلاقة التي جمعت بين عاطفة الأخوة وصفاء الرسالة ووحدة الهدف. وإن المتتبع لقصتهما، يجدها متعددة العبر، كثيرة المواعظ، ففي كل واقعة من وقائع حياتها عبرة، وقد تجلّى فيها التكامل الأخوي بأسمى معانيه، حيث جمع الله بين قوة موسى في القيادة والتنفيذ، وبيان هارون في الحكمة واللين، فكانا معاً مثلاً للتعاون والتكامل في تبليغ رسالة رب العالمين، ودعوة فرعون وقومه ومواجهته كأكبر طغاة التاريخ، وأغنى ملوك العالم، ولسنا نحصي كل المواضع، بل نذكر ما هو سبيل لإغناء موضوع التكامل، لنُبرز هذا المعنى القرآني العميق من خلال تحليل النصوص الواردة في القصة، واستنباط القيم العملية منها، وربطها بالتطبيقات المعاصرة في شتى جوانب الحياة على المؤسسات كلها الرسمية وغير الرسمية، سعياً لإحياء روح التعاون البناء بين الإخوة في الدين والنسب والعمل المشترك بشتى مجالاته.

أسباب اختيار الموضوع:

- ١- خدمة كتاب الله باستخراج آيات قصة موسى وهارون وما يتعلق بها، ودراستها دراسة موضوعية لإظهار عظمة كتاب الله، وفضل قصة موسى وهارون على العالمين.
- ٢- الرغبة في عرض نموذج التكامل الأخوي الذي قصه علينا القرآن عظة وعبرة للمعاصرين.

أهداف البحث:

- ١- تأصيل مفهوم التكامل الأخوي في ضوء قصة موسى وهارون من القرآن الكريم.
- ٢- بيان علاقة موسى وهارون عليهما السلام كنموذج قرآني للتكامل الإنساني والأخوي.
- ٣- استنباط الدروس التطبيقية للتكامل الأخوي وعكسها في الواقع المعاصر.

الدراسات السابقة:

لا توجد بحوث أو رسائل علمية، حسب علمي تطرقت للتكامل الأخوي وبالذات في قصة موسى وهارون معاً وتطبيقاته المعاصرة بهذا الأسلوب الموضوعي، ولكن وجدت بحوث في القصص القرآني وقصة موسى وكذا هارون ولكن بعيدة التطبيق، وأهمها:

- ١- الأبعاد التربوية لقصة موسى عليه السلام وتطبيقاتها التربوية. لدالية فتحي جاد الله (٢٠١١م). هدفت إلى تحليل الأبعاد التربوية وتطبيقاتها المعاصرة؛ ليستفيد منها المعلم المسلم.
- ٢- معالم الصراع الإيماني في قصة موسى عليه السلام، للهوي (١٩٨٧م). هدفت إلى توضيح الصراع الإيماني فقط من خلال القصة وإن ربطت بين الماضي والحاضر.
- ٣- القيم التربوية في القصص القرآن لظهطوي (١٩٩٦م). هدفت إلى استخلاص الدور الذي تلعبه القصة القرآنية في غرس القيم الإسلامية في الناشئة.

أهمية البحث:

إن تأصيل مفهوم التكامل الأخوي من خلال النصوص القرآنية، وبيان أبعاده الاجتماعية والإنسانية، يعد من أهم البحوث العلمية المعاصرة في إثبات تجدد آي القرآن الكريم وصلاحيته هداياتها لكل زمان ومكان، كي يستفيد منها الفرد في أسرته، والإنسان في مجتمعه وبيئته، والداعية في مسجده وساحته، والقيادي في إدارته ووزارته، وكل صاحب فن في ميدان عمله.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول العديد من الأسئلة أهمها:

- ١- كيف تجلّ مفهوم التكامل الأخوي في القرآن الكريم، من خلال قصة موسى وهارون عليهما السلام؟
- ٢- ما أبرز صور وأبعاد التكامل بين موسى وهارون عليهما السلام في مجالات: الدعوة، والقيادة، وتحمل المسؤولية؟
- ٣- كيف أسهم التكامل الأخوي في إنجاح الرسالة ومواجهة التحديات التي اعترضت دعوتها؟ وإمكانية تطبيق ذلك في الواقع المعاصر؟

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي الوصفي، والمنهج التحليلي التأصيلي، واعتمدت فيهما على التالي:

- ١- جمع آيات قصة موسى وهارون التي تتحدث عن قصتها ومواجهتهما مع فرعون وقومه.
- ٢- استعراض ما ذكره علماء التفسير في معاني الآيات المتعلقة بالقصة وتوضيح مدلولاتها.
- ٣- بيان الآيات التي تبرز التكامل الأخوي لقصة موسى وهارون بشي من التوضيح القرآني واستنبطت أحكامها عن طريق عرض أحكام التنزيل وتأويلات المفسرين.

٤ - عقدت مقارنة موجزة بين مفهوم التكامل الأخوي للقصة وطريقة اختيار القائد في ميدان العمل المعاصر، وعززت بأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية، وأقوال سلف الأمة، لتطبيق التكامل بثوبه الأصيل.

التزمت في كتابة البحث بالمنهج الذي تسير عليه البحوث المماثلة مع الأخذ بما تضمنته القواعد المنظمة للنشر ما استطعت.

حدود البحث:

تناول البحث دراسة تحليلية موضوعية للتكامل الأخوي بين موسى وهارون عليهما السلام وآياته الخاصة فقط دون الإسهاب في جميع آيات القصة أو قصص التكامل الأخرى الواردة في القرآن الكريم ككل، مع إبراز المجال الزمني للقصة القرآنية وما يتصل بها من تطبيقات واقعية معاصرة.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وأربعة مباحث. في كل مبحث ثلاثة مطالب، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات، والفهارس العلمية، وذلك على النحو التالي:
المقدمة: وتشمل: أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وأهدافه، وأهميته، ومنهجه، وحدوده، وخطته.

تقسيمات البحث:

المبحث الأول: التأصيل المفاهيمي للتكامل الأخوي في القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف «التكامل الأخوي» لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مظاهر التكامل الأخوي في قصة موسى عليه السلام.

المطلب الثالث: نشأة مفهوم «الكبير والصغير» ودلالاتها اللغوية والبيانية.

المبحث الثاني: التكامل الأخوي في ضوء قصة موسى وهارون عليهما السلام.

المطلب الأول: مظهر اللين في سياق قصة موسى وهارون عليهما السلام.

المطلب الثاني: منهج الشدة وأثره في مواجهة الظلم والطغيان.

المطلب الثالث: التكامل بين الرؤية والبيان سبيل لبلوغ المقاصد وتحقيق الغايات.

المبحث الثالث: تجليات المحبة والحماية في المهام العظام:

المطلب الأول: أثر الدعم والمساندة في تجسيد المحبة بين موسى وهارون عليهما السلام.

المطلب الثاني: كيفية انعكاس التكامل على قوة الشخصية وسمو النفس.

المطلب الثالث: عاطفة الأخوة ودورها في الاستقرار النفسي والروحي.

المبحث الرابع: التطبيقات المعاصرة للتكامل الأخوي.

المطلب الأول: أثر التكامل الأخوي على الفرد والأسرة والمجتمع.

المطلب الثاني: دور التكامل الأخوي في نجاح الدعوة وبناء الدولة.

المطلب الثالث: مشروعية اتخاذ الأقارب في مرحلة المواجهة والتأسيس.

المبحث الأول: التأصيل المفاهيمي للتكامل الأخوي في القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف «التكامل الأخوي» لغة واصطلاحاً.

التكامل لغة: من (كمل) كمالاً. ثبتت فيه صفات الكمال، وأكمل الشيء أمه^(١). وقيل تكاملت الأشياء: كمل بعضها بعضاً بحيث لم تحتاج إلى ما يكملها من خارجها^(٢).

التكامل اصطلاحاً: هو كل من تجتمع فيه الأجزاء وتترابط ترابطاً دقيقاً يأخذ بعضها بحُجَز بعض لتشكّل كلاً موحدًا متناسقًا، لا يقبل التجزئة والانقسام، وقيل: هو تحقيق التناسق والانسجام بين شخصين أو أكثر مختلفين في القدرات يكمل بعضها بعضاً ليتعاونوا في الوصول إلى غرض واحد^(٣).

الأخوي لغة: من الإخاء والأصل أخو، والأخ من النسب: معروف وهو من جمعك وإياه صلب أو بطن. وقد يكون الصديق والصاحب. وجمع الأخ إخوة وإخوان. قال أبو حاتم: قال أهل البصرة أجمعون: الإخوة في النسب، والإخوان في الصداقة. والأخت: أنثى الأخ، صيغة على غير بناء المذكر والتاء بدل من الواو وليست التاء فيها بعلامة تأنيث. والجمع أخوات. وقال بعض النحويين: سمي الأخ أخاً لأن قصده قصد أخيه. وأصله من وخی أي قصد فقلبت الواو همزة. وأخى الرجل مؤاخاة وإخاء ووخاء. والعامة تقول وإخاه. وقال ابن الجوزي: الأخ: اسم يراد به المساوي والمعادل. والظاهر في التعارف: أنه يقال في النسب ثم يستعار في مواضع تدل عليها القرينة^(٤).

الاخوي اصطلاحاً: هو مشاركة شخص لآخر في الولادة من الطرفين، أو من أحدهما أو من الرضاع، ويستعار لكل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات. وقال الكفوي: الأخ: كل من جمعك وإياه صلب أو بطن

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة لـد. أحمد مختار (١/ ٨٠١).

(٢) المرجع نفسه (٣/ ١٩٥٩).

(٣) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لـد. عثمان جمعة ضميرية (ص ٣٩١)، وانظر معجم اللغة العربية المعاصرة لـد/ أحمد مختار (١/ ٨٠٠ - ٨٠١).

(٤) نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لعدد من المتخصصين (٢/ ٩٢).

والإخوة تستعمل في النسب والمشابهة والمشاركة في شيء. وقال المناوي: الأخ هو الناشئ مع أخيه من منشأ واحد على السواء بوجه ما^(٥).

مفهوم التكامل الأخوي مركباً: تعاون طرفين في تحقيق هدف مشترك، على أساس من المحبة والثقة، يتكامل فيه مجموعة من الناس ويشتركوا إما في الولادة القرية أو البعيدة، أما القرية كتكامل موسى وهارون عليهما السلام قال تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾^(٦) هَارُونَ أَخِي^(٧) وأما البعيد فمثل عاد وهود، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَبْنَؤُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٨).

التطبيقات لغة: مصدر طبق، وهي إخضاع المسائل والقضايا لقاعدة علمية أو قانونية أو نحوية، يكون من خلالها تطبيق المسائل على النظريات أو التعليمات طبقاً للمعارف^(٩).

التطبيقات اصطلاحاً: هي جعل الشيء وفق الشيء ومطابقته فيه، ويقال طبق الشيء على الشيء، وضم بعضه إلى بعض إذا انطبق عليه ووافقه. وقيل: هي الجانب العملي في تمثيل الأسوة الحسنة مجسداً، والقرآن حياً في مواقف ووقائع تراها الأعين، وتلمسها الأيدي، ويتعظ بها الخاص والعام^(٩).

المعاصرة لغة: مصدر عاصر يعاصر معاصرة، فهو معاصر، أي: عاش معه في عصر واحد، أو زمن واحد^(١٠).

المعاصرة اصطلاحاً: هي المعاشة بالوجدان والسلوك للحاضر، والإفادة من كل منجزاته العلمية والفكرية، وتسخيرها لخدمة الإنسان ورقية^(١١).

وأما موسى وهارون عليهما السلام معرفين، وقد سلكت في منهج البحث عدم التعريف بالمعرف خشية التنكير، ولكن نذكر هنا نسبهما لتأكيد أخوتها فقط.

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص ٦٨)، وانظر الكليات للكفوي (ص ٦٣)، والتوقيف على مهات التعاريف للمناوي (ص ٤١).

(٦) [طه: ٢٩ - ٣٠].

(٧) القيم الإسلامية، وزارة الأوقاف السعودية (ص ٦٥) والآية من [الأعراف: ٦٥].

(٨) معجم اللغة العربية لـ د/ أحمد مختار (١٣٨٧/٢).

(٩) موقف الغزالي من السنة (ص ٣٧٧) والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (٢/ ٥٥٠) بتصرف.

(١٠) معجم اللغة العربية لـ د. أحمد مختار (١٥٠٧/٢).

(١١) المرجع نفسه (١٥٠٨/٢).

موسى: هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث ابن لاوي بن يعقوب إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

هارون: هو هارون بن عمران بن يصهر بن قاهث ابن لاوي بن يعقوب إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. وقال الزجاج: قيل كان هارون أخا موسى لأمه لا لأبيه (١٢). والصحيح ما نقل من اسمه ونسبه هنا، وهو شقيق موسى لأبيه وأمه. بحسب ما حكاه ابن كثير (١٣):

المطلب الثاني: مظاهر التكامل الأخوي في قصة موسى عليه السلام.

يتجلى التكامل الأخوي في قصة موسى عليه السلام في صور متعددة، عكست تعاون الأسرة الواحدة في سبيل تحقيق الهدف الإلهي من حفظ موسى منذ ولادته إلى تأييده.

أولاً: دور أم موسى وعلاقتها بالتكامل الأخوي: كانت أم موسى نواة التكامل الأسري، فجمعت بين الإيثار العميق والثقة بوعده الله، ثم أحسنت توجيه الأبناء وتوظيفهم في خدمة أخيهم موسى. فقد أمرها الله أن تلقيه في اليم، ووعداها بالحفظ والرجعة، ثم هيأت أخته لتتابع أمره. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلَيْهِ فِي السَّيِّئَةِ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا رَأَيْنَاهُ إِلَيْنَا إِنَّ مَرْسَلَنَا رَسُولًا﴾ (١٤). ثم تحقق وعد الله بعودته إليها دون أذى، قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ (١٥). قال مجاهد: وكان الوحي بالرضاع قبل الولادة، وقال غيره بعدها. قال السدي: لما ولدت أم موسى أمرت أن ترضعه عقب الولادة وتصنع به بما في الآية؛ لأن الخوف كان عقب الولادة، واسم أمه: (لوحا بنت هاند بن لاوي بن يعقوب) (١٦).

ثانياً دور الأخت: أخت موسى قامت بأهم الأدوار في طفولته بل بعد ولادته مباشرة، ومثلت دور المراقب والمتابع، بحكمة وذكاء، فكانت حلقة وصل بين الأم وأخيها موسى في قصر فرعون، وكانت سببا في حفظه من الضياع. قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ﴾

(١٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٨٣)، تفسير القرطبي (١/ ٣٩٥).

(١٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٧).

(١٤) [القصص: ٧].

(١٥) [القصص: ١٣].

(١٦) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٥٠).

عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ (١٧). ثم تولت خطة اعادته إلى البيت بطريقتها الذكية: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُوتٌ﴾ ﴿١٢﴾ (١٨) وهذا الدور لأخت موسى يعكس التكامل الأخوي ويبين العاطفة والود والحنان بين الأنثى والذكر والحرص الشديد الذي يجلي معاني الأخوة بأبهى صورها. واسم أخت موسى: مريم بنت عمران، وافق اسمها اسم مريم أم عيسى عليه السلام، ذكره السهيلي والثعلبي وذكر الماوردي عن الضحاك: أن اسمها كلثمة (١٩).

ثالثاً: دور الأخ الأكبر: هارون هو الأخ الأكبر لموسى عليهما السلام وقد ظهر التكامل الأخوي بينهما في أبهى صورته، إذ طلب موسى من ربه أن يشد عضده بأخيه، فاستجاب الله له: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ﴾ (٢٠). وجعل بينهما توزيعاً للأدوار في الدعوة كما سنبينه في مطالب هذا البحث من خلال قول الحق سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ ﴿٢١﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٢٢﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَىٰ ﴿٢٣﴾ وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٢٤﴾ (٢١). وغير ذلك من الورد القرآني الذي يوضح هذا المظهر من التكامل بل إن دور هارون كان هو السبب الأهم والعمود الرئيس الذي أدى إلى نجاح الدعوة وتبليغ الرسالة، من خلال توزيع المهام الدعوية بينه وبين موسى الذي كان دوره للبلاغ والمواجهة، وهارون للتأييد والبيان، في تناغم يبرز مفهوم التكامل الأخوي في العمل الدعوي، وتلك الاستجابة للدعاء يحسدها قول الحق: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿٢٥﴾ (٢٢). أي بعد المنّة الأولى المذكورة في مظهر تكامله بأمه وأخته المتمثلة بطريقة إعادته إلى أمه واحتضانها له.

رابعاً دور زوجة فرعون وعلاقتها بالتكامل الأخوي: زوجة فرعون هي: (آسيا بنت مزاحم)، وإن كانت تعتبر ليست من الأسرة النسبية لموسى، لكنها أخت في الدين والإيمان، قال تعالى:

(١٧) [القصص: ١١].

(١٨) [القصص: ١٢].

(١٩) تفسير القرطبي (١٣/٢٥٦) بتصرف.

(٢٠) [طه: ٣٦].

(٢١) [طه: ٢٩ - ٣٢].

(٢٢) [طه: ٣٧].

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢٣). فكان دورها مكملاً للحماية والرعاية، إذ تبنت موسى ودافعت عنه بطريقتها قائلة: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢٤) وهذه الأخوة الإيمانية تجاوزت النسب، بل وأهم ما فيها أنها أسهمت في حماية الدعوة قبل بروزها، وتؤكد أن الأخوة الدينية نوع من التكامل الدعوي، بل أهمه، لما له من دور في تحقيق أهداف الرسالة الدينية الموسوية، وهكذا يتجلى في قصة موسى عليه السلام نموذج قرآني رفيع للتكامل الأخوي، جمع بين الأم الموجهة والرعاية، والأخت المتابعة المؤيدة، والأخ الشريك في الدعوة، والأخت في الدين (آسية) التي وفرت الحماية والرعاية، وكلهم شكّلوا معاً شبكة من التكامل الأسري والديني حول موسى عليه السلام لتحقيق الغاية الإلهية والهدف الديني السامي. وأما المنّة العائدة على الجميع من خلال هذا التكامل فقد ذكرها الفخر الرازي في تفسيره^(٢٥) بقوله: واعلم أن وجوه الإنعام وإن كانت كثيرة إلا أنها محصورة في نوعين: إيصال المنافع إليهم، ودفع المضار عنهم. والله تعالى ذكر القسمين معا في الصفات (١١٤ - ١١٦)، فقوله: ﴿وَلَقَدْ مَنَعْنَا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ إشارة إلى إيصال المنافع إليهما، وقوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ إشارة إلى دفع المضار عن الكل. ثم بين سبحانه تلك المنّة. بقوله: ﴿وَصَرَّحْنَاهُمْ﴾ موسى وهارون وقومهما: ﴿فَكَانُواهُمْ﴾ الْغَلِيلِينَ ﴿أَي فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ بظهور الحاجة، وفي آخر الأمر بالدولة والرفعة إلى غير ذلك من المنن المذكورة في نفس السياق المختوم بقوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وهي ختام الأقسام الأربعة من أبواب التعظيم والتفضيل المذكورة وغير المذكورة هنا. والمقصود التنبيه على أن الفضيلة الحاصلة بهذا التكامل الأخوي المنبثق من روح الإيمان أشرف وأعلى وأكمل من كل الفضائل.

□

(٢٣) [التحریم: ١١].

(٢٤) [القصص: ٩].

(٢٥) مفاتيح الغيب للرازي (٢٦/٣٥٢).

المطلب الثالث: نشأة مفهوم «الكبير والصغير» ودلالاتهما اللغوية والبيانية.

الكبير في اللغة: من الكُبر بالضم، وهو أكبر ولد الرجل والصغير بخلافه، أي أصغر ولد. ويقال لأخوين مثلاً زيد الأصغر وعمرو الأكبر أي الصغير والكبير. وجاء في القرآن الكريم استعمال واسع لهذين اللفظين في الترتيب والمقام، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ﴾ (٢٦). وهذا المطلب يشير إلى نشأة مفهوم الكبير والصغير ومسؤولياتهم الاجتماعية وخصوصاً في أخوة موسى وهارون، والإسلام أعطى الكبير حق التوقير، وكذا الصغير حق الرحمة، وجعل العلاقة بينهما توازنية لا تسلطية، وتكاملية لا فردية (٢٧). عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا (٢٨). قال ابن عباس: كان هارون أكبر من موسى بأربع سنين (٢٩) وعنه أيضاً قال: نُبئ هرون ساعته حين نُبئ موسى عليهما السلام. وعن وهب قال: كان هارون فصيحاً، يَبِّن النطق، يتكلم في تودة، ويقول بعلم وحلم، وكان أطول من موسى طولاً، وأكبرهما في السن، وأكثرهما لحماً، وأبيضهما جسماً، وأعظمهما ألواحاً، وكان موسى جعداً آدم طوالاً كأنه من رجال شنؤة ولم يبعث الله نبياً إلا وقد كانت عليه شامة النبوة في يده اليمنى إلا أن يكون نبينا ﷺ فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه (٣٠).

وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاثة وثمانين سنة حين كلّمهما فرعون (٣١) قال القرطبي (٣٢): مات هارون قبل موسى بثلاث سنين، وكان في جبهة هارون شامة، وعلى أرنبة أنف موسى شامة، وعلى طرف لسانه شامة، ولم تكن على أحد قبله ولا تكون على أحد بعده، وقيل: إنها كانت سبب العقدة التي في لسانه. وفي اسرار العلاقة بين الصغير والكبير وتربطها الإنساني، نلاحظ في علاقة موسى وهارون عليهما السلام أن موسى هو الأصغر سنّاً والأقوى

(٢٦) [يوسف: ٨٠].

(٢٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس الحموي (٢/ ٧٠٩).

(٢٨) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٩٢٠) في البر، باب رقم (١٥)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وانظر جامع الأصول لابن الأثير (٦/ ٥٧٣) برقم (٤٨١١).

(٢٩) التفسير المنير للزحيلي (١٦/ ١١٦).

(٣٠) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٥/ ٥٦٧).

(٣١) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام لأحمد عبد الوهاب (ص ٤٥).

(٣٢) تفسير القرطبي (١١/ ١٩٤).

تنفيذاً، بينما هارون الأكبر سنّاً والألين قولاً، ومع ذلك لم يكن بينهما صراع على الزعامة، بل انسجام وتوزيع طبيعي للمهام. وهذه من أروع النماذج في تحويل الفروق الفردية إلى أدوات للتكامل لا للتنافس، بل طريقة وأسلوب راق يرتفع من خلاله الجميع وينشأ الصغير والكبير نشأة إيمانية راقية، ويصلوا جميعاً إلى درجات النبوة ومرافق الرسالة. وبهذا تتجلى الفروق الفردية بما حكاها الطاهر بن عاشور^(٣٣) بقوله: كان هارون الأكبر سنّاً، والافصح لساناً، وكان يتكلم عن موسى بما يريد إبلاغه، وكان يستخلفه في مهمات الأمة. وإنما جعلت تلك الهبة من رحمة الله؛ لأن الله رحم موسى إذ يسر له أخاً فصيح اللسان، وأكمل به الإنشاء حتى يعلم مراد موسى مما يبلغه عن الله تعالى، ولم يوصف هارون بأنه رسول إذ لم يرسله الله تعالى، وإنما جعله مبلغاً عن موسى عليه السلام.

المبحث الثاني: التكامل الأخوي في ضوء قصة موسى وهارون.

المطلب الأول: مظهر اللين في سياق قصة موسى وهارون.

اللين لغة: من لان يلين، الدالة على خلاف الشدة وهي بمعنى الخشونة، يقال: هو في لسان من عيشه أي نعمة^(٣٤)، ويقال في فعل الشيء اللين: كقوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَهُ، يَذَكِّرْ أَوْ يَخْشَى﴾^(٣٥) قال ابن كثير^(٣٦): الحاصل من أقوالهم في هذه الآية: أن دعوة موسى وهارون (لفرعون) تكون بكلام رقيق لين سهل رفيق ليكون (ذلك) أوقع في النفوس وأبلغ وأنجح وفيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، لعله يرجع عما هو فيه من الضلال، أهـ. والقول اللين: الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامثال، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله. فشبه الكلام المشتغل على المعاني الحسنة بالشيء اللين.

(٣٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٦/ ١٢٩).

(٣٤) لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٣٩٤).

(٣٥) نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لعدد من المتخصصين (٨/ ٣٢٩٥) والآية [طه: ٤٤].

(٣٦) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٩٥).

واللين، حقيقة من صفات الأجسام، وهو: رطوبة ملمس الجسم وسهولته، وضد اللين الحشونة. ويستعار اللين لسهولة المعاملة والصفح. واللين من شعار الدعوة إلى الحق، ومن اللين في دعوة موسى لفرعون قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَ﴾ (١٨) ﴿وَاهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ (١٩) (٣٧). فاللين والرفق يقابلهما الشدة، والبعض يسير في جانب اللين على طول الطريق، والنفس البشرية بطبيعتها تميل إلى من يعاملها بلين وتقبل منه، وتأبى وترفض من يعاملها بعنف ويغلظ عليها بالقول، ولا شك في ذلك، فاللين والرفق هما: لين الجانب وتحمل الأذى وحسن الخلق وعدم العنف في المعاملة. وقد دخل رجل على المأمون في زمن الدولة العباسية فأغلظ له في القول وعنفه، فقال له: يا رجل! لقد أرسل الله من هو أفضل منك إلى من هو شر مني، أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون فقال لهما ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا نَعْلَهُ، يَذْكُرْ أَوْ يَخْشَى﴾ (٤٤) (٣٨) وهناك فرق وخط فاصل بين المداراة والمداينة، فالمداراة هي استخدام الألفاظ اللينة وعدم قبول المنكر أو إقرار صاحبه. واللين في الدعوة ليس معناه مشاركة العصي وعدم الأخذ على يده وتركه ومجاملته؛ حفاظا على المودة بينكما، فهذه مداينة، ولا ينبغي أن تكون أبدا، وإنما المقصود بالمداراة: استخدام اللفظ الطيب، وخفض الجناح في النصيحة. وأما قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا﴾ (٣٩)، تفسير هذا القول وتبيان ما فيه من التلطف بقوله تعالى في سورة النازعات: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَ﴾ (١٨) ﴿وَاهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ (١٩) وناسب هذا ما بنيت عليه سورة طه من تأنيس نينا ﷺ وتأنيس موسى ﷺ بكلمه ﷺ بقوله: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (١٣) وما بعد إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ (٣٦)، فلما كان بناء هذه السورة أي (طه) بجملتها على التلطف والتأنيس، ناسب ذلك ما أمر به موسى -عليه السلام- من دعاء فرعون آنسه وألطفه، وأمر موسى -عليه السلام- وأخوه هارون بذلك فقبل لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا﴾، وجرى على ذلك قوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ﴾ فأشعرت هذه الإضافة بالتلطف الرباني، ولما لم تكن سورة (الشعراء) مبنية على ما ذكر، وإنما تضمنت تعنيف فرعون وملئه وإغراقهم وأخذ المكذبين للرسول بتكذيبهم فقال تعالى: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦)، بإضافة اسمه سبحانه (إلى العالمين) ليحصل منه

(٣٧) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٦/ ٢٢٥) والآية من [النازعات: ١٨، ١٩]

(٣٨) تفسير القرآن الكريم لأسامة سليمان (١٠/ ٣) والآية من [طه: ٤٤].

(٣٩) [طه: ٤٤]

أنه مالك الكل وأنهم تحت قهره وفي قبضته، وعدل عن الإضافة إلى ضمير الخطاب إذ لم يقصد هنا ما تقدم من التلطف، ونظير الوارد في الآيتين قوله تعالى في الأنعام: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ^(٤٠)﴾ فقف على ذلك في السورة، وقد تبين جليل النظم وعلي التناسب في كل ما تقدم^(٤١) ويستفاد من هذا التناسب أمران:

الأول: أن الدعوة إلى الله ينبغي أن تكون مصحوبة بالتفاؤل والرجاء، لا بالتشاؤم واليأس، بحيث يكون الداعي قوي الثقة بالله، قوي الثقة بفعالية الدعوة وتأثيرها في النفوس، والوصول إلى النتيجة المرجوة.

الثاني: أن الدعوة إلى الله ينبغي أن تكون لغتها لغة مهذبة، وأن يكون أسلوبها أسلوباً لينا، فلا فحش ولا غلظة ولا جفوة^(٤٢). وقوله في طه: ﴿لَا تَخَافُ إِنِّي مَعَكُمْ^(٤٣)﴾ وعاذ من الله لكل من جند نفسه لهداية الخلق، والأخذ بيدهم إلى طريق الحق، أن يمدّه بمدده، ويجعل السكينة مهمينة على روحه وجسده، فيواجه الناس دون خوف ولا وجل، ويمضي قدماً إلى إنجاز ما يسر له من العمل.

وآيات [طه: ٤٣ - ٤٦] بجملتها تضمنت الخطة الربانية المرسومة لموسى وهارون عليهما السلام في مخاطبة فرعون تلقينات جليلة في صدد الدعوة وأسلوبها، وما يجب على الدعاة من اصطناع الرفق واللين والأساليب الحسنى التي يمكن الوصول بها إلى الغاية والنجاح، وفيها درس بالغ للذين يستعملون الحشونة والقسوة بل والبداة أحياناً من المتصدرين للزعامة والمتصدرين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يقرر الله تعالى أن فرعون طغى، ومع ذلك يأمر رسوله إليه بأن يقول له قولاً لينا لعلّه يتذكر أو يخشى^(٤٤). ومعلوم أن هارون عليه السلام كان مميزاً بلين الجانب، وقوة التحمل والعطف، والدليل الآيات المفسرة أنفاً وإن كانت تخاطبها جميعاً، وما يؤكد أنه مخصوصاً بأمور تدل على ذلك ومنها الفصاحة قوله تعالى عن لسان موسى نفسه: ﴿وَإِخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا^(٤٥)﴾ وأما الدال على أنه كان فيه رفق ولين قوله تعالى:

(٤٠) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل لأبي جعفر الثقفي (٢/ ٣٣٩ - ٣٤٢).

(٤١) التيسير في أحاديث التفسير لمحمد المكي (٤/ ٦٦).

(٤٢) التفسير الحديث لـ دروزة (٣/ ١٩٥).

(٤٣) [القصص: ٣٤].

﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٤٤) وكذا قوله تعالى: ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِنْ أَلْقَوْمَ اسْتَصَعَفُونِي﴾ (٤٥) وذكر الأم هنا للاسترفاق والاسترحام، إذ الأم عنوان الحنان، وموطن العطف والرحمة. بل أنه كان أكبر سناً من موسى. ويقولون أن الأخ الأكبر في عطفه يشبه الأب، وفي حنانه يشبه الأم (٤٦)، بل لا ننكر أن موسى كان جامعاً لصفتي الشدة التي سنفندها في المطلب التالي وكذا اللين الدال عليه ختام سياق الأعراف بقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٥١) وقال ذلك بعد أن سمع مقالة هارون الدالة على الاستعطف واللين، وهذه الكلمة تبرز عمق الرابطة بينهما، إذ جمع موسى نفسه مع أخيه في طلب المغفرة والرحمة، فهما في الدعاء كما في الدعوة روحان في جسد واحد.

المطلب الثاني: منهج الشدة وأثره في مواجهة الظلم والظفيان.

الشدة: من الفعل (شدّ) الشين والدال أصل واحد يدل على قوة في الشيء (٤٧). وهي التصرف بحزم وقوة عند الحاجة لذلك، في تحقيق مصلحة أو دفع مفسدة بل في المواقف التي تتطلب ردع الباطل أو منع الظلم وهي بعكس اللين، كقصة موسى وهارون التي انتقل فيه السياق من خطاب اللين الذي لم يستوعبه فرعون إلى خطاب التهيب له بصيغة الأمر من رب العالمين، الذي بيناه في المطلب السابق من خلال الفرق في أسلوب الخطاب بين سورتي النازعات وطه وكذا الشعراء كقوله: ﴿فَأَنبَاهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي أن الله تعالى كلف موسى وهارون تكليفاً أن يطلبوا من فرعون في أول لقاء بينهما أن يرسل بني إسرائيل معهما، ولم يكلفهما بمطالبة بالإيمان بربه سبحانه وتعالى في حين أن سورة النازعات جاء فيها: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكُمْ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبُوا﴾ (١٨) وَاهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) تدل على أنها كلفا بأن يهدياه أولاً إلى معرفة ربه، وجمعاً بين النصين، نقول: إن الله كلفهما بالأمرين جميعاً، وإنهما تدرجاً معه، فطلباً منه إرسال بني إسرائيل وإطلاقهم من الأسر، ورفع التعذيب والقتل عنهم، قبل أن يطلبوا منه تبديل

(٤٤) [طه: ٩٤].

(٤٥) [الأعراف].

(٤٦) تفسير القشيري (١/ ٥٧٣)، وانظر التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٣/ ١٥١٦)،

(٤٧) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٧٩).

اعتقاده، فإن الأول أسهل عليه من الثاني. والمراد من إرسال بنى إسرائيل معها تخلص الأسارى منهم، وإخراجهم من تحت جبروته، وليس المقصود التصريح لهم بالتوجه معهم إلى الشام، ويدل على ذلك قوله تعالى عقب هذه الجملة: ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي لا تعذبهم بإبقائهم في السجون والتسخير، فقد كان هو وقومه يستخدمونهم في الأعمال الشاقة كالخفر والبناء ونقل الأحجار، ومن عصاهم عذوبه وسجنوه^(٤٨). قال الشعراوي^(٤٩): نلاحظ هنا أنها لم يواجهها بما ادعاه من الألوهية مرة واحدة، إنما أشارا إلى مقام الربوبية ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥٠) وهذه هزة قوية تزلزل فرعون، قال الزحيلي^(٥١): لم يتردد موسى وأخوه هارون بعد هذا التأييد الإلهي من الذهاب إلى فرعون الظالم، وأعلنوا له أنها رسولان إليه من رب العالمين، وهذا واجب التبليغ الذي لا بد فيه من الجرأة والشجاعة والصبر، حتى أنه ذكر أن فرعون لم يأذن لهما سنة في الدخول عليه، ثم أذن استهزاء، فدخلوا عليه وأدوا الرسالة قائلين بصوت جماعي: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾^(٤٨) ثم وجه فرعون الخطاب إلى الرئيس الأصلي في هذه المهمة، وهو موسى عليه السلام ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَى﴾^(٤٩) فأجاباه بفحوى الخطاب الذي يستحقه من غير مبالاة بعظمته ومهابته فقالا له قولاً صريحاً: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(٥٠) وبالرجوع إلى قوله في الشعراء: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾^(٥١). أضاف فيه أسلوب مواجهته، أي قد جئناك بحجة من ربك، على أننا مرسلون من قبله، ولسنا مفترين على الله بدعوى إرساله إيانا إليك، والسلامة من العذاب في الدارين لمن اتبع الهدى الذي أرسلنا الله به، وليس السلام هنا بمعنى التحية، لأنه ليس في ابتداء كلامهم كما هي العادة في التحية، فإن موضعها هنا بمعنى لا تحية له، لأنها لأهل الهدى وهو ليس منهم، وتعتبر مفاجأة خشنة منفرة يقولونها بين يديه غير عابئين بمنصبه في قومه، وتمنعه من أن يتذكر أو يخشى، وتحالف اللين

(٤٨) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث (٦/ ١٠٢٨).

(٤٩) تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٢٨٤)..

(٥٠) [الشعراء: ١٦].

(٥١) التفسير المنير (١٩/ ١٣٤).

(٥٢) [طه: ٤٩].

(٥٣) [طه: ٥٠].

(٥٤) [طه: ٤٧].

المطلوب منها في محادثته، ولأنه يعتبرهما من رعيته، وقد نشأ في نعمته وتحت سلطانه، وقال أبو حيان^(٥٥): الظاهر أن قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِثَايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ أَهْلُكَ﴾ فصل للكلام، والسلام فيه بمعنى التحية، وجاء ذلك على ما هو العادة من التسليم عند الفراغ من القول، إلا أنهما عليهما السلام رغبا بذلك عن فرعون، وخصابه متبعي الهدى، ترغيبا له بالانتظام في سلوكهم^(٥٦). وهذا السياق يحتوي على خير مثال من الشدة والترهيب يحتذى به في مخاطبة الطغاة الظالمين، والعصاة الضالين. فاختيار كلمة (الرب) وكلمة (السلام) لهما أكثر من مغزى في هذا المقام، ولذلك استعمل خاتم النبيين والمرسلين صيغة: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ أَهْلُكَ﴾^(٥٧) في رسائله التي دعا بها أقطاب العالم في عصره إلى الإسلام، وكذلك التصريح في نفس الآية بـ: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾^(٥٨) يتضمن تحذيرا شديدا غير مباشرا، وهو في نفس الوقت لا يدمغ المخاطب بكونه ممن كذب وتولى فيثور ويغضب، بل على العكس من ذلك يدفعه إلى أن يستوعب الخطاب الموجه إليه بقابلية وتفتح، قال ابن عباس: هذه الآية هي أرجى آية للموحدين، لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا^(٥٩).

إذا فما الفائدة في التليين أولا ثم الانتقال إلى التغليظ ثانيا؟ أجيب: بأن الإنسان إذا ظهر لجاجة فلا بد له من التغليظ حيث لم ينفع التليين. قال البيضاوي: ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لأن التهديد في أول الأمر أهم وأنجح وبالواقع أليق. ولما أتياه وقالوا: إنا رسولا ربك، وبلغاه ما أمرا به^(٥٩).

وبعد ذكر تأويل السياقات الدالة على الشدة نذكر هنا ما يدل على أن موسى تميز بالشدة والحزم على الحق كما ذكرنا مميزات هارون عليه السلام وأبرزها هنا قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ وما ذكره جل وعلا في [طه: ٨٦] هنا من كون موسى رجع إلى قومه غضبان أسفا، ذكره في غير هذا الموضع، وذكر أشياء من آثار غضبه المذكور، كقوله في [الأعراف: ١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي مِن بَعْدِي﴾

(٥٥) البحر المحيط (١٩ / ١٣٤).

(٥٦) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٧ / ٣٣٩).

(٥٧) [طه: ٤٩].

(٥٨) التيسير في أحاديث التفسير لمحمد المكي (٤ / ٦٦).

(٥٩) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للشرييني (٢ / ٤٦٦).

وقد بين تعالى أن من آثار غضب موسى إلقاءه الألواح التي فيها التوراة، ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ﴾ وقال في [طه: ٩٤] مشيراً لأخذه برأس أخيه: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ وهذه الآيات فيها الدلالة على أن الخبر ليس كالعيان، لأن الله لما أخبر موسى بكفر قومه بعبادتهم العجل كما بينه في قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (٦٠) وهذا خبر من الله يقين لا شك فيه لم يلق الألواح، ولكنه لما عاين قومه حول العجل يعبدونه أثرت فيه معاناة ذلك أثراً لم يؤثر فيه الخبر اليقين بذلك، فألقى الألواح حتى تكسرت، وأخذ برأس أخيه يجره إليه لما أصابه من شدة الغضب من انتهاك حرمت الله. وقد روى ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (يرحم الله موسى ليس المعانين كالمخبر، أخبره ربه عز وجل أن قومه فتنوا بعده فلم يلق الألواح، فلما رآهم وعانينهم ألقى الألواح) (٦١).

ومن السياقات الدالة على الشدة آيات سورة طه كقوله: ﴿قَالَ يَهْرُؤُونَ مَامَنْعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ (١٢) ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُ﴾ أي: فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع... ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ (١٣) أي: فيما كنت تقدمت إليك، ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ وهذا اعتذار من هارون عند موسى في سبب تأخره عنه، حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم قال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ آبَتِكَ وَأَخِيهِ﴾ (١٤) أن أتبعك فأخبرك بهذا، فتقول لي: لم تركتهم وحدهم وفرقت بين بئى أسرته يل ولم ترقب قولي (١٥) أي: وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم (٦٢).

وهكذا يتبين من خلال السرد القرآني أن السياق الذي يسرد عودة موسى وهو غضبان أسفا وأحداثه في سورة طه، تتميز بالشدة بعكس سياق الأعراف، كون الحوار فيها انتقل من تعنيف هارون إلى التهكم بالسامري بقوله: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي﴾ (١٥) بل توعده موسى السامري بالعذاب والنكال، وأمر بطرده من محلة بني إسرائيل، فخرج طريدا هو وأهله إلى

(٦٠) [طه: ٨٥].

(٦١) أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٨٠)، وحكاة ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٢٩)، قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس.

(٦٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٣١٢).

(٦٣) [طه: ٩٥].

البراري، ثم أتى موسى بالعجل فحرقه بالنار، ونسف رماده في اليم، ليبين لقومه أن مثل هذا لا يصح أن يتخذ إلهاً (٦٤). بل كان ما بعده من الوعيد أشد وأنكى، بخلاف سياق الأعراف المختوم بطلب الاستغفار والرحمة له ولأخيه هارون. بل قيل أن موسى كان من أعظم الناس غضباً؛ لكنه كان سريع الفئدة. وقال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: كان موسى إذا غضب طلع الدخان من قنوسوته، ورفع شعر بدنه جبته (٦٥). ومما يؤكد شدة موسى وقوته أيضاً الحديث الوارد في الصحيحين قال رسول الله ﷺ (أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عز وجل عليه عينه، وقال: ارجع، فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب! ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال: قال رسول الله ﷺ فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، عند (وفي رواية: تحت) الكتيب الأحمر) (٦٦) وتأكيده غضبه لله ولدينه بما حكاه صاحب الكشف: كان موسى عليه السلام رجلاً حديداً مجبولاً على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء، شديد الغضب لله ولدينه، فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلاً من دون الله بعد ما رأوا من الآيات العظام، أن ألقى ألواح التوراة، لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة، غضباً لله واستنكافاً وحمية، وعنف بأخيه وخليفته على قومه، فأقبل عليه إقبال العدو المكاشف، قابضاً على شعر رأسه، (وكان أفرع) وعلى شعر وجهه يجره إليه أهـ (٦٧).

المطلب الثالث: التكامل بين الرؤية والبيان سبيل لبلوغ المقاصد وتحقيق الغايات.

من يتأمل قصة موسى وهارون عليهما السلام يجد أن كلا منهما كان يؤدي دوراً مكملاً للآخر؛ فموسى هو صاحب الرؤية العامة والخط السياسي في مواجهة فرعون، بينما كان هارون هو المبلّغ المبين لقومه، صاحب اللين والحكمة، وظهر التكامل في المواقف العملية بينهما ليؤكد

(٦٤) الموسوعة القرآنية خصائص السور لجعفر شرف الدين (٥/ ٢٢٩).

(٦٥) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٢٤ - ٣٢٥).

(٦٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٠) برقم (١٣٣٩)، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة، ومسلم في الفضائل برقم (١٥٧/ ٢٣٧٢) عن أبي هريرة. وانظر كنز العمال للبرهان فوري (١١/ ٥٠٦)، وصححه الالباني، انظر مختصر صحيح البخاري (١/ ٣٩٢) برقم (٦٤٢)، والجامع الصغير للسيوطي (ص ٩٠٠).

(٦٧) تفسير المراغي (١٦/ ١٤٤)، وانظر الكشف للزنجشيري (٣/ ٨٤).

أن في الجماعة والاخوة بركة ونصر مبین، وهكذا نرى أنه عند مواجهة الطاغية فرعون نطق موسى بالحق وايده هارون بالبيان.

ومن خلال السرد القصصي نلمح أن اللين هو الأسلوب الأمثل في الدعوة إلى الله مع أن الأمر قد يستدعي الشدة في بعض الأحيان، فما هو اللين؟ وما هو الرفق؟ وما هي الشدة؟ وما هي المواقف التي ينبغي أن يستخدم فيها اللين؟ والمواقف التي ينبغي أن تستخدم فيها الشدة؟ نجيب على ذلك من خلال الآتي. فقلوه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا﴾ (٣٥) مرتب على سؤال موسى عليه السلام في سورة طه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي﴾ (٣٠)، فأعطى عليه السلام مطلبه لتكتمل فيهم تلك المواقف وورد هذا على الترتيب المقرر في المصحف (٦٩). وهذا المطلب من موسى عليه السلام يشير لأدب عال من آداب النبوة، وقد اختار الله موسى للرسالة، فلماذا يشرك معه أخاه في هذه المهمة؟ إذن: موسى لا يريد أن يفخر بالرسالة، أو يتعالى بها، إنما يريد أن يقوم بها على أكمل وجه؛ لذلك يحاول أن يكمل ما فيه من نقص بأخيه ليُعينه على تبليغ رسالته، ولو أراد الاستئثار بالرسالة ما طلب هذا الطلب.

وهذا نموذج يجب أن يُتخذ، فإن كلفت بأمر فوق طاقتك فلا غبار عليك أن تستعين عليه بغيرك، فهذا دليل على إخلاصك للمهمة التي كلفت بها، ولا أحداً منا يستغني عن أحد، فلكل واحد مهمته، فإن زدت في شيء فقد نقصت في أشياء جعلها الله في غيرك ليكمل بها نقصك، لكن هذه المشاركة تفرضها الضرورة لا التفضل، وإلا لو لم يتفضل عليك غيرك فماذا تفعل؟

وهكذا يتكامل موسى وهارون ويعوض كل منهما النقص في أخيه. ويقال: إن هارون عليه السلام كان يمتاز على موسى في أمور أخرى، فكان به ين وحلم، وكان موسى حاداً سريع الغضب، فكان هارون للين، وموسى للشدة. ويتضح هذا المقام حينما عاد موسى إلى قومه، وقد تركهم في صحبة أخيه هارون فعبدوا العجل فاشتد غضبه، كما قال تعالى في الأعراف: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِفًا﴾. ثم احتد على أخيه، وجذبه من ذقنه، وظهرت حدته وقسوته، فإذا قال هارون؟ ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ ليستعطفه ويذكره برأفة الأم وحنانها وفي سورة طه

(٦٨) [الفرقان: ٣٥].

(٦٩) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل لأبي جعفر الثقفي (٢/ ٣٢٩).

أيضاً: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾، كأنه يقول لأخيه: اضربني كما تريد، لكن لا تروني في لحيتي، وفي رأسي. إذن: فالفصاحة في هارون تجبر العقدة في لسان موسى، واللين يجبر الشدة والحدة. وأيضاً فإن موسى عليه السلام كان أسمر اللون، أجعد الشعر، أفنى الأنف، أما هارون فكان أبيض اللون، مُرْسَل الشعر، وسيم التقاطيع والملامح، ترتاح له الأبصار، فمن لم يرتح لموسى ارتاح لهارون. وهكذا تميز موسى عليه السلام بالحزم والغيرة على الحق، وظهر ذلك في مواقفه الكثيرة، بينما عُرف هارون باللين والرفق. وكان موسى شديداً في ذات الله، وهارون ألين قولاً، فجمع الله لهما بين الشدة واللين. وهذا التوازن من أهم مقومات القيادة الناجحة في مواجهة الظلم، إذ لا تصلح الشدة وحدها، ولا اللين وحده، بل التكامل بينهما هو الطريق الأمثل لنجاح الدعوة وتحقيق الغايات (٧٠).

إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى. فإذا لم ينفع اللين مع المدعو وأعرض واستكبر، جاز في موعظته الإغلاظ معه، قال تعالى عن موسى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (٤٨) (٧١).

ونقل عن ابن عباس أنه قال: مكثا أي موسى وهارون على بابه حيناً لا يؤذن لهما، ثم أذن لهما بعد حجاب شديد، وقيل ستين يغدوان ويروحان، لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما، فدخل ومعه أخوه هارون وفي يده عصاه، فلما وقف على فرعون قال: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦) (٧٢) فعرفه فرعون. وذكر اسم الربوبية في هذه الآية يشير إلى التهيب ويؤول بمعنى الشدة والخشونة في الخطاب بعكس توحيد الألوهية كما بينت الآيات الأولى وهكذا انتقل الخطاب إلى الشدة بعد اللين.

وفي هذا الموضع يتبين التكامل ظاهراً في وحدة الخطاب وتناسق الهدف وعدم تضارب المواقف لاتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما بسبب الأخوة كأنهما رسولا واحداً فصارا كالشيئين المتلازمين كالعينين واليدين (٧٣). ولم تكن رسالة موسى وهارون عليهما السلام ذات هدفين، بل هدف واحد مشترك: إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. وهذا

(٧٠) تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٢٦١ - ٩٢٦٢) وأنظر تفسير القرطبي (٧ / ٢٨٧) بتصرف.

(٧١) [طه: ٤٨].

(٧٢) [الشعراء: ١٦].

(٧٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٩٤).

الاتحاد في الهدف جعل جهودهما تتناسق ولا تتعارض، فكانت الدعوة مثمرة والمنة مكتملة، وهذه اللمحة والتكامل من قصة موسى وهارون تعنى بإبراز منة الله عليهما باختيارهما واصطفائهما، وبإبقاء ذكرهما في الأجيال الآتية والقرون الأخيرة وتنتهي هذه اللمحة بالسلام من الله على موسى وهارون (٧٤).

وعندما يخاطب الناس قائدان متكاملان، في الرؤية والبيان يكون التأثير أعمق وأصدق؛ لأنهم يرون وحدة الكلمة واتحاد الغاية، فقد جمع الله لموسى وهارون بين النبوة والوزارة، وبين الحزم واللين، وبين الرؤية والبيان، ثم التحدي والتنفيذ، وهذه المعادلة هي التي يحتاجها العمل الإسلامي والاجتماعي اليوم، حيث إن التكامل بين القادة والعاملين هو مفتاح النجاح في تحقيق الأهداف العليا، الذي ينعكس فيه التكامل على نجاح الدعوة وتحقيق الغايات، وهكذا نجد أن القيادة المتكاملة تجمع بين الرؤية الإستراتيجية والبيان المؤثر، ونموذج موسى وهارون عليها السلام يُعدّ مدرسة في التكامل الرسالي والعمل.

المبحث الثالث: تجليات المحبة والحماية في المهام العظام.

المطلب الأول: أثر الدعم والمساندة في تجسيد المحبة بين موسى وهارون عليهما السلام.

المحبة بين الأخوة من أرقى مشاعر الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وقد جاءت كل الشرائع السماوية لتوجهها نحو الخير والعطاء، ومن هذا المنطلق تعد المحبة في العلاقة الأخوية بين موسى وهارون عليهما السلام عنصراً أساسياً في نجاح الرسالة التي حمّلاها، إذ لم تكن الأخوة بينهما مجرد علاقة نسب، بل رابطة إيمانية رسالية قائمة على الحب والتأييد والدعم والمساندة.

وهنا يتبين أنه لما رأى موسى فضل ربه عليه وعطفه ولطفه به استمطر خيره، وطلب من فيضه ما ألهمه به، ويتجلى ذلك من خلال الحاحه بالدعاء الوارد في سياق سورة طه: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) أي وسعه لتحمل مشاق سيئي الأخلاق، وإملائه معرفة بك، وعرفانا منك، لأجابه بقوة سلطانك وعظمة قهرك ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (٢٦) بالوصول إليه وسهل لي كل صعب ألاقه في طريقي إليه وفي مقابلتي له ﴿وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي﴾ (٢٧) يَقْهَرُوا قَوْلِي (٢٨) لأعبر عما في

(٧٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٢٩٩٧).

جناني بطلاقة وفصاحة لمن أرسلتني إليهم بيان المعاني، ولأبلغ رسالتك على الوجه الأتم الأكمل. واعلم أن هذه ليست من العيوب المستحيل وجودها في الأنبياء؛ لأن ثقل اللسان قد لا ينقص قدر الإنسان، ولا يخل في أمر التبليغ، وليس فيه ثغرة: ﴿وَجَعَلْنِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (٢١) أي يعاونني في أعباء ما كلفتني به، فالوزير بكسر فسكون، بمعنى الحمل، وسمي القائم ببعض الأمور الملكية وزيراً لأنه يحمل عن الملك بعض ثقلها، ثم بين الوزير الذي يريده بقوله الثقل ﴿هَذُونَ أَخِي﴾ (٢٠) ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ (٢١) قو به ظهري وأحكم به قوتي ليساعدني على مهمتي ﴿وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي﴾ (٢٢) الذي شرفنتني به وهي الرسالة، ليقوم مقامي عند غيابي في إرشاد من أرسلتني إليهم، ويعاضدني في حضوري عند دعوتي إليهم، هذا وإن موسى عليه السلام أول من طلب هذا الطلب من ربه فأجابه. وقوله: ﴿كَيْ تَسْجَحَ كَثِيرًا﴾ (٢٣) أنا وإياه ليل نهار ﴿وَتَذْكُرُكَ كَثِيرًا﴾ (٢٤) وهذه غاية للأدعية الثلاثة في هذه الآية، لأن انضمام فعل هارون لعمل موسى مكثر له ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (٢٥) عالماً بأحوالنا، مشاهداً لها، وإن ما دعوتك به مما يصلحنا ويقوينا، لإنفاذ أمرك ويسهل علينا تبليغ رسالتك، فأجابه جلت قدرته بقوله: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ (٢٦) كله، فقد أزلنا العقدة من لسانك ونبأنا أخاك هارون وجعلناه معاوناً لك تتقوى به كما طلبت، وهذا دليل كاف على رسالة هارون عليه السلام، فلا وجه لمن نفاه؛ لأن السؤال معاد بالجواب قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ (٢٧) قبل هذه المنن الثلاث بلا سؤال منك، إذ لم تكن إذ ذاك مميزاً، إذ كنت في بدء رضاعك، وقد خافت أملك من اطلاع قوم فرعون عليك فيأخذونك ويقتلونك (٧٥). قال الزحيلي (٧٦): وأنعم عليه مجيباً سؤاله ودعائه بجعل أخيه هارون الأكبر منه سنّاً نبياً ورسولاً، وتلك نعمة كبرى على الأخوين، إذ أزرهما ببعضهما، وجعلهما متعاضدين متعاونين في تبليغ الرسالة الإلهية إلى فرعون وآله وإلى بني إسرائيل. وقال الشعراوي (٧٧): موسى عليه السلام مع ما تميّز به أخوه هارون عليه من هذه الصفات لم يحقد على أخيه، ولم ينظر إليه على أنه أفضل منه، إنما جعل صفات أخيه مكملات لصفاته، والجميع من أجل أداء الرسالة وتبليغها على وجهها الأكمل، فلم ينظر إلى نفسه ونجاحه هو، وإنما إلى نجاح المهمة التي كلفه

(٧٥) بيان المعاني لعبد القادر العاني (٢/ ١٩٦ - ٢٠٠).

(٧٦) التفسير المنير (١٦/ ١١٦).

(٧٧) تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٢٦٣).

الله بها، لأن التعاون مهيج للرغبات، ويزيد الخير ويتكاثر، ولا شك أن التعاون والاجتماع على الطاعة مما يشد أزر الإنسان، ويقوي نيته للعمل الصالح. وفي القديم لم يكن هناك وزراء كثيرون، وإنما الوزير واحد، كما كان هامان وزيراً لفرعون، كان هارون وزيراً لموسى، فكان الوزير في النظام القديم السياسي للدول واحداً للأمير أو للملك أو للسلطان، بحسب مساهمته، وهذا الوزير هو الذي يحمل ثقل الإمارة عن الأمير، فلذلك سمي وزيراً، ولهذا قالوا: إنه لا يعلم أن أخاً أمن على أخيه من منة موسى على هارون، وقد مرت عائشة رضي الله عنها وأرضاها على رجلين في الحج يسأل أحدهما الآخر، قال له: هل تعلم أي أخ أعظم منة على أخيه؟ فقال الآخر لا أدري، فقال الذي سأل: أنا أعلم، إنه موسى بمنته على هارون، بفضل دعاء موسى أضحى هارون نبيا رسولا، فقالت عائشة رضي الله عنها معلقة: صدق والله، أي: صدق والله فيما قال. والأخوة منها أخوة الإيثار، ومنها أخوة النسب، ومنها أخوة الصداقة والاتفاق في العيش أو في الذكرى، وأعظمها إذا اجتمعت: أخوة إيمان، وأخوة نسب، وأخوة علاقة أو صداقة أو رفقة أو جيرة أو ما شابه ذلك، أو زمالة، والعرب تقول: إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك.

ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شئت فيك شمله ليجمعك (٧٨).

والإنسان يحتاج إلى من يكون معه في السراء والضراء، ولا يدخر الإنسان للسراء والضراء أعظم من إخوانه (٧٩).

ومن معاني تجسيد المحبة بين هارون وموسى أن من الله عليهما أولاً بالخصوصية، ثم امتحنهما عليهما بالكرب العظيم، كما هي عادته في أهل الخصوصية، ثم تجلت آثار الدعم ونتائج المساند بينهما بأن من عليهما بالفرج والنصر، ثم هدهما إلى طريق السير إليه، في الظاهر والباطن، بإنزال الكتاب، وبيان طريق الرشد والصواب، فالطريق المستقيم هي طريق الوصول إلى الحضرة، وشهود عين التوحيد الخاص، ثم ينشر الصيت والذكر الحسن في الحياة والمات (٨٠).



(٧٨) حكاه أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٧٩) سلسلة محاسن التأويل للمغامسي (٣/ ٥٢)، وانظر تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٢٦٣).

(٨٠) البحر المديد لابن عجيبة (٤/ ٦١٦).

المطلب الثاني: كيفية انعكاس التكامل على قوة الشخصية وسمو النفس.

يعد هذا المبحث الركيزة الرئيسة للبحث إذ يعرض نموذج التكامل الأخوي في أسمى صورته، كما ورد في القرآن الكريم. وقد تجسد هذا التكامل في علاقة نبين جمعتهما رابطة الأخوة والنبوة، قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ٣٢﴾ قَالَ سَنُنْشِدُ عُصْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّنَا أَنْتُمَا أَتَّبِعْكُمَا أَلْعَلَّيْتُمَا ٣٥﴾ (٨١) قال الطبري (٨٢): إنما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه؛ لأن الاثنين إذا اجتمعا على الخير، كانت النفس إلى تصديقهما أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد. وسبب طلب العون قوله: (إني أخاف أن يكذبون) أي: إني أخاف أن لا يصدقون على قولي لهم: إني أرسلت إليكم، فأجابه الحق: (سنشد عضدك)، أي: نقويك ونعينك بأخيك. أهـ. وهذا يدل على أن الاستعانة بالأخ ليست ضعفاً، بل هي تعبير عن الوعي القيادي الذي يدرك أهمية المشاركة والتكامل، وحين يتكامل الإخوة في العمل، تزول الأنانية ويتولد سمو النفسي؛ لأن كلا الطرفين يسعى لنجاح الرسالة لا لذاته. وقد كان موسى عليه السلام بإمكانه أن يطلب أي معين آخر، لكنه اختار أخاه هارون؛ لأن الأخوة الصادقة تبني الطمأنينة والثقة، وتختصر مسافة التفاهم والتواصل. وجعل الإرسال إليهم دون بقية أمة القبط؛ لأن دعوة موسى وأخيه إنما كانت خطاباً لفرعون وأهل دولته الذين بيدهم تصريف أمور الأمة لتحرير بني إسرائيل من استعبادهم إياهم، أهـ. فلم يستجيبوا حين رأوهم أخوين من جنس البشر يستعين بعضهما ببعض وكانهم ينتظرون رسلاً مختلفين في الماهية ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ٤٨﴾ (٨٣) يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى عليه السلام وأخاه هارون إلى فرعون وملئه بالآيات والحجج الدامغات، والبراهين القاطعات، وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهما، والانقياد لأمرهما، لكونهما بشرين، كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر، تشابهت قلوبهم، فأهلك الله فرعون وملأه، وأغرقهم في يوم واحد أجمعين (٨٤).

(٨١) [القصص: ٣٤ - ٣٥].

(٨٢) تفسير الطبري (١٩/ ٥٧٨ - ٥٧٧).

(٨٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٨/ ٦٣) والآية من [المؤمنون: ٤٧ - ٤٨].

(٨٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٧٥).

وإن من أبرز الدروس في هذه الآيات أن القيادة الناجحة لا تقوم على التفرد، بل على التكامل. فموسى عليه السلام، مع ما أوتي من الشجاعة والصلابة، كان يعلم أن ضعف بيانه قد يكون عائقاً أمام بلاغ الدعوة، فطلب من الله من يكمل هذا النقص، وهنا يظهر سمو النفس حين يعترف القائد بحدوده. وقد وصفهما بأنهما كانا معاً في كل خطوة، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾^(٨٥) فتعبير معكما هنا يؤكد وحدة الرسالة والتكليف، ويبرز أن التكامل الأخوي يصنع الثبات في الأزمات؛ لأن كل طرف يسند الآخر نفسياً وروحياً.

والآيات ترسم مشهداً رائعاً، وتصور حروفها وكلماتها ثبات موسى وقدرته على الحوار، وترسم صورة لفرعون حائراً لا يجد جواباً، وموسى ينتقل به من دليل إلى دليل، حتى جاء بالآية الكبرى التي أذهلت فرعون وملأه، حين ألقى موسى عصاه، والتي هي ككل العصي- في يد موسى عوداً من خشب، يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه، إلى غير ذلك مما تستعمل فيه العصا، فألقاها فإذا هي حية عظيمة مخيفة، تجري على الأرض هنا وهناك فاعرة فاهاً، مما أثار ذعر فرعون ومن معه، ومد موسى يده فأمسك بها فعادت عصا كما كانت من قبل.

وأ تبع موسى هذه المعجزة بمعجزة أخرى، إذ أخرج يده يحركها حيث شاء، فما إن نزعها من جيبه حتى أضاءت المكان كله. يقول مجاهد: كان موسى إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر. وقال الحسن البصري: أخرجها والله كأنها مصباح^(٨٦).

بعد استعراضنا الآيات القرآنية تبين لنا بما لا يقبل الشك أن سيدنا هارون عليه السلام قد كان رسولاً إلى فرعون وملأه وبني إسرائيل، ومن ذلك يتبين لنا حجم المهمة التي اضطلع بها سيدنا موسى وأخيه، فقد أرسله الله إلى ملك متجبر طاغية ضرب به المثل في الظلم والتكبر حتى أداه تكبره إلى ادعاء الربوبية. قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾^(٨٧) وقد دلت الآيات دلالة على أن رسالتهما رسالة واحدة، وأن مهمتهما كانت مهمة واحدة^(٨٨). وقيل: سئل النبي ﷺ ما بال الله أكثر ذكر موسى في القرآن؟ فقال: لأن الله

(٨٥) [طه: ٤٦].

(٨٦) التفسير الموضوعي لأحمد بن عبدالله الزهراني (ص ٣٩٦).

(٨٧) [القصص: ٣٨].

(٨٨) سورة القصص دراسة تحليلية للدكتور محمد مطني (١/ ٤٢٥).

يحبّه، ومن أحب شيئاً أكثر ذكره^(٨٩). وقد دعاه الله تعالى في القرآن بخمسين اسماً تصريحاً وتعريضاً، وآخاه هارون كذلك بعشرة أسماء. وهذا وكل ما سبق تدوينه إن دل على شيء إنما يدل على انعكاس التكامل بينها المؤدي إلى قوة الشخصية وسمو النفس.

المطلب الثالث: عاطفة الأخوة ودورها في الاستقرار النفسي والروحي.

العاطفة ركيزة أساسية في تماسك الجماعات، ولا يبقى الأفراد متماسكون إلا إذا كانت العلاقات متماسكة يسودها الانتماء والشعور بالمسؤولية، والقصة القرآنية بين موسى وهارون عليهما السلام تبين نموذج القيادة الأخوية التي تربطها عاطفة الأخوة المتعانة، قال ابن كثير^(٩٠) عند تفسيره لسياق آيات القصص: لما أمر الله تعالى موسى بالذهاب إلى فرعون، الذي إنما خرج من ديار مصر- فراراً منه وخوفاً من سطوته، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(٣٣) يعني: ذلك القبطي ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾، وذلك أن موسى عليه السلام كان في لسانه لثغة، بسبب ما كان تناول تلك الجمرة حين خير بينها وبين التمرة أو الدرة، فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه، فحصل فيه شدة في التعبير ﴿فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ﴾ أي: يؤنسني فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم، وهو القيام بأعباء النبوة والرسالة إلى هذا الملك المتكبر الجبار العنيد ﴿رَدَّاءَ يُصَدِّقُنِي﴾ أي: معينا ومقويا لأمرى، يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله عز وجل؛ لأن خبر اثنين أنجح في النفوس من خبر واحد؛ وقال محمد بن إسحاق: ﴿رَدَّاءَ﴾ أي: يبين لهم عني ما أكلّمهم به، فإنه يفهم فلما سأل ذلك ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ أي: سنقوي أمرك، ونعز جانبك بأخيك، الذي سألت له أن يكون نبيا معك. وقوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا﴾ أي: حجة قاهرة، ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ أي: لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكما بسبب إبلاغكما آيات الله، ولهذا أخبرهما أن العاقبة لهما ولمن اتبعهما في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾^(٣٥) وبالاتقال إلى سياق سورة الأعراف عند قوله تعالى:

(٨٩) أخرجه البرهانفوري في كنز العمال (٤٢٥/١) برقم (١٨٢٩) والسخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٦١٩)، برقم (١٠٥٠)، ولفظ (من أحب شيئاً أكثر ذكره) فقط عن أبي نعيم ثم الديلمي من حديث مقاتل بن حيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة به مرفوعاً. وحكاها المظهر في تفسيره (١٤٢/٦)، عن صاحب مسند الفردوس من حديث عائشة.. وأنظر بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٦/٦١).
(٩٠) تفسير ابن كثير (٦/٢٣٦).

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسَفًا قَالَ بِسْمَا خَلَفْتُنِي مِنْ بَعْدِي﴾ نجد أنه عندما عاد موسى إلى قومه وهو في أشد الغضب والحزن لكفرهم بعد الإيمان، وضلالهم بعد الهداية (٩١)، لأن الله كان قد أخبره أنه قد فتن قومه، وأن السامري قد أضلهم، فكان رجوعه غضبان أسفًا لذلك. والأسف: شدة الغضب، والتغيب به على من أغضبه، وقيل: هو منزلة وراء الغضب (٩٢). وقوله: ﴿وَلَمَّا وَاقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ﴾ أي: وأمسك موسى بشعر رأس أخيه هارون يجذبه إليه منه، لظنه أنه أهمل في توعية قومه وإرشادهم وإصلاح حالهم، ونهيمهم عن الإشراك بالله. فرد عليه: ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ أي قال هارون يدفع تهمة التقصير في نصحتهم عن نفسه يا ابن أمي: إنني بذلت قصارى جهدي في ترشيدهم وتوضيح سوء العاقبة لما فعلوا، حتى قهروني، واستضعفوني، وهموا يقتلي، واقتربوا منه ﴿فَلَا تُشِمَّتْ فِي الْأَعْدَاءِ﴾ أي: فلا تفعل بي أمام هؤلاء الأعداء ما يكون سببا لشمتهم بي وفرحهم فيما يصيبني من إيذاء وتعنيف. والشامة فرح العدو فيما يصيب عدوه من مكروه. ﴿وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١٥٠) أي: ولا تظمني بغضبك علي في سلك الذين ارتكبوا أقبح الظلم بعبادة العجل، ونقض العهد والفساد في الأرض، ولا تجعلني في عدادهم مع براءتي من جرائمهم، وفيما بما استخلفتني فيه. وبعد أن سمع موسى عليه السلام مقالة هارون عليه السلام رق له وعطف عليه وسامحه، وقال ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ أي قال موسى مناديا ربه يطلب منه غفران فعله بأخيه من غير جريرة ارتكباها، وغفران ما عساه أن يكون قد وقع مع أخيه من تقصير في نصحتهم وتحذيرهم. ولا يخفى أن كل إنسان في حاجة إلى استغفار ربه، طاعة له وطلباً لرفع الدرجات، مع ما في استغفار موسى لنفسه من الترضية لهارون وإعلان الشامتين بتمام رضاه عما فعله حتى ترد شمتهم إليهم كمدا وحسرة، وأنعب الاستغفار هنا بالدعاء له ولأخيه قال: ﴿وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٥١) أي: ومن علينا بمزيد من الإنعام بعد غفران ما سلف منا، وشأنك يا الله أن رحمتك بجميع مخلوقاتك أعظم من رحمة الخلائق بعضهم ببعض، ومن رحمتهم بأنفسهم، فلا تحرمنا من واسع رحمتك. وأن التعاون على الدين منقبة عظيمة

(٩١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٦/ ١٠٥٤).

(٩٢) تفسير الطبري (١٣/ ١٢٠).

فأراد أن لا تحصل هذه الدرجة إلا لأهله، أو لأن كل واحد منهما كان في غاية المحبة لصاحبه والموافقة له (٩٣).

وبالعودة إلى القصة نفسها نجد أن الغضب والأسف عملية نفسية فيها حزن، وسموها: «المواجيد النفسية»، أي: الشيء الذي يجده الإنسان في نفسه، وقد يعبر عن هذه المواجيد بانفعالات نزوعية، ولذلك تجد فارقا بين من يحزن ويكبت في نفسه، وبين من يغضب، فمن يغضب تنتفخ أوداجه ويحمر وجهه ويستمر هياجه، وتبرق عيناه بالشر- وتندفع يده، وهذا اسمه: غضبان. وصار موسى إلى الحالتين الاثنتين، وقدم الغضب لأنه رسول له منهج، ولا يكفي في مثل هذا الأمر الحزن فقط، بل لا بد أن يكون هناك الغضب نتيجة هياج الجوارح، وكم كان غضب موسى عليه السلام بالغاً، وأسفه شديداً، بعد عودته من طور سيناء، إذ وجد بني إسرائيل قد تنكروا لكل ما نالهم من عفو وإحسان، وانزلقوا إلى عبادة الأوثان، لكن أخاه هارون لم يسعه إلا أن يهدئ روعه، مسترحماً ومستعطفاً، إذ خاطبه كما حكى عنه كتاب الله: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ والغرض من هذا التعبير إثارة عطف أخيه موسى عليه وتسكين غضبه، وليس المراد أنه أخوه من أمه لا غير، فموسى وهارون أخوان شقيقان (٩٤).

المبحث الرابع: التطبيقات المعاصرة للتكامل الأخوي

المطلب الأول: أثر التكامل الأخوي على الفرد والأسرة والمجتمع.

النفوس الأصيلة إذا ارتقت تكون جبال مسندة وأمهات حنونة وآباء عطوفة، وقرينتها إذا أوتيت فضلاً، أشركت فيه من تحب وتوقّر، والإخوة الصغار لا يرون في الكبار منافسة، بل يرونهم سنداً وظهراً، وهكذا موسى بطيبة قلبه وصفاء معدنه، لم يتخل عن أخيه الأكبر، ولم ينظر لنفسه وحده، بل جعل لأخيه نصيباً من الرسالة، وشاركة في الدعوة وهذا قمة التكامل والتعاون والمساندة. وقد ذكر الله عز وجل نموذجاً لهذا التكامل الأخوي القائم على الإخلاص، بذكر قصته هو أولاً ثم أخوه هارون عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، قال تعالى في (مريم: ٥١ - ٥٣): ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ أي جمع الله له بين

(٩٣) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٣/ ١٥١٦ - ١٥١٧) وأنظر مفاتيح الغيب للرازي (٢٢/ ٤٥).

(٩٤) تفسير الشعراوي (٧/ ٤٣٦٣)، وأنظر التيسير في أحاديث التفسير لمحمد المكي (٢/ ٢٧١).

الوصفين، فإنه كان من المرسلين الكبار أولي العزم الخمسة^(٩٥)، ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ أي وكلمناه من الجانب الأيمن للطور أي الذي عن يمين موسى حين أقبل من مدين متوجها إلى مصر، وأنبأناه بأنه رسولنا، ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَحْيَا﴾ أي تقربب تشريف وإجلال حين مناجاته لنا وقد مثل حاله عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته، واصطفاه لمصاحبته، ورفع الوسائط بينه وبينه. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ وهذه الهبة من الله إجابة لدعوته عليه السلام في طه بقوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي^(٩٦) أي يعاونني في أعباء ما كلفتنني به، فالوزر بكسر فسكون، بمعنى الحمل، وسمي القائم ببعض الأمور الملكية وزيرا لأنه يحمل عن الملك بعض ثقلها، ثم بين الوزير الذي يريده بقوله الثقل وحققنا ما طلبه له^(٩٦). وطلب الاستعانة هنا بهارون عليه السلام تفيد أهمية استعانة الفرد والأسرة والمجتمع بمن يساعدهم في القيام بواجبهم، ويستفيدون بأي شيء يؤدي إلى التكامل جريا على عادة البشر، كما استعان موسى عليه السلام بأخيه هارون، والقصة كذلك توضح لنا أهمية الدعاء والإجابة من الله سبحانه وتعالى فهو القادر على كل شيء، والمسلم للمسلم ناصح ومعين، وقد تلقى هارون النصيحة وقام بالمهمة على أكمل وجه، وتكامله مع موسى لم يثقل على نفسه، والعمل الفردي المناهض للتكامل إنما يثقل على نفوس الأشرار العاملين بموجبه؛ لأنهم يتقيدون بما يريدون أن ينطلقوا منه، يتثقل التكامل على نفوس المتكبرين الصغار، الذين يحسون أن العمل الجماعي منقضا لأقدارهم وذواتهم، إن الصغير حقا هو الذي يبعد عنه يدك التي تمتد لتسانده ليظهر أنه كبير. ومن خلال ذلك نطلق لأبجديات التكامل كتطبيق علمي لنرى آثاره وثماره ونتائج التخلف عنه.

أولا: التكامل على المستوى الفردي. والتكامل الأخوي هنا: بمعنى انصواء الشخص بجميع مكوناته في أهداف وجوده المستمدة من الإطار الإسلامي للحياة، حتى يتمكن من بلوغ أكمل درجة ممكنة من صياغة الذات بطريقة متكاملة، وذلك عبر محبة قوية لله وللحق والحقيقة، وللآخرين المخلصين، هذا إلى جانب التكامل بين النية والفعل. والتكامل الأخوي هو أحد القواعد المهمة التي يصلح بها حال الفرد؛ وذلك أن الفرد الإنساني مقصود بالأذية، محسود

(٩٥) تفسير ابن كثير (٥/٢٣٧)، وأولي العزم الخمسة: نوح - إبراهيم - موسى - عيسى - ومحمد ﷺ

(٩٦) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٦/٩٧٧).

بالنعمه، وخاصة في عصرنا الحاضر، فإذا لم يكن ألفا مألوفاً تخطفته أيدي حاسديه، وتحكمت فيه أهواء أعاديته، فلم تسلم له نعمه، ولم تصف له مده، فإذا كان ألفا مألوفاً انتصر بهذا التكامل على أعاديته، وامتنع من حاسديه، فسلمت نعمته منهم، وصفت له مدته عنهم^(٩٧).

أثر التكامل الأخوي على الفرد.

١- التكامل الأخوي يهيئ للأفراد اختيارات معينة عن طريق الأوامر والنواهي والالتزامات التكليفية، التي تحدد السلوك الصادر عنهم، وبمعنى آخر: تحدد أشكال السلوك، وبالتالي تلعب الدور الهام في تشكيل الشخصية الفردية السعيدة في الحياة الدنيا، وفي الحياة الآخرة عن طريق تحديد أهدافها في إطار معياري صحيح.

٢- التكامل الأخوي يعطي الفرد إمكانية تحقيق ما هو مطلوب منه في إطار الرسالة الإسلامية، ويمنحه القدرة على التكيف والتوافق الإيجابيين، وتحقيق الرضا.

٣- التكامل الأخوي يحقق للفرد الإحساس بالأمان، إذ هو يستعين به على مواجهة ضعفه وضعف نفسه، ومواجهة التحديات والعقبات التي تواجهه في حياته العلمية والعملية.

٤- التكامل الأخوي يعطي الفرد فرصة ودفعة نحو تحسين وعيه، ومعتقداته، وسلوكياته، لتتضح الرؤية أمامه، وبالتالي يساعده على فهم العالم حوله، وتوسع مدلولات الإطار الفكري لفهم حياته وعلاقاته.

٥- التكامل الأخوي ينمي فرص التعبير ويؤكد ذاتية الفرد في إطار الحياة وفهم لها وإمكاناتها.

٦- التكامل الأخوي يعمل على إصلاح الفرد نفسياً، وتوجهه نحو الخير والإحسان وكافة مكارم الأخلاق التي تضمن حياة نظيفة في الدنيا، وجزاء أوفى في الآخرة.

٧- التكامل الأخوي يبعد الإنسان عن النقص الذي يجعل الحياة جحيماً لا يطاق، وذلك جراء صفات من أبرزها الجبن، والخوف، والاستهتار، واللامبالاة إلى غير ذلك

ويجب أن ندرك أن هذا التكامل غير منفصل بعضه عن بعض، بل هو متداخل بعضه مع بعض، وبالتالي يحقق ذاتية الفرد، ويجعله يستشعر عظمة وقيمة حياته الاجتماعية، فالذي يعمل مع إخوانه ويشعر بأنه جزء من فريق يزداد وعيه وانضباطه ويتعدى عن الانطواء والأنانية^(٩٨).
ثانياً: التكامل على مستوى الأسرة.

(٩٧) نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لعدد من المتخصصين (٢/ ٤٩٦-١٢٦) بتصرف.

(٩٨) المرجع نفسه (١/ ٨٥-٨٦) بتصرف.

الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع، وإذا ساد التكامل والتفاهم بين أفرادها ونشأ أبنائها على المحبة والألفة والثقة، سادوا ونمت أفكارهم، والإنسان بطبعه كائن اجتماعي يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه، فتمرص روحه أو تهزل، أو تصح وتقوى تبعاً لصلاح محيطه الأسري أو فساده، فالأبوان بالنسبة للصغير مجتمعه الصغير الذي يؤثر فيه، فيدفعه إلى الفساد أو الصلاح، والإخوان كذلك، حيث أن كل فرد في الأسرة يشد عضد أخيه، فيحصل التآلف بين الإخوة، والتكاتف والتكامل فيما بينهم، يفرح الأخ لفرح أخيه، ويغضب لغضبه، ويألم لألمه، فتغدو الأسرة كالجسد الواحد، الذي إن اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، وبذلك تتميز الأسرة ذات العلاقات الأخوية القوية عن غيرها من الأسر بمميزات كثيرة، أهمها: التوازن النفسي والاجتماعي، وكذا الاستقرار والإبداع، ومواكبة تطلعات المستقبل، إذ يكمل الكبير الصغير ويعين القوي الضعيف، ومن المعلوم أن الوالدين يفرحان بمحبة الأبناء لبعضهم البعض، وصفح أحدهم، وتجاوزه عن إساءة أخيه عند حصول النزاع بينهم.

أثر التكامل الأخوي على الأسرة.

- ١- التكامل يحقق الترابط في الأسرة، وتشد به أواصر الصلة والمحبة والتعاون بينهم.
- ٢- التكامل الأخوي يحمي أفراد الأسرة من أشكال الانحراف، وأمراض الضعف، بحيث تستمر الأسرة زمناً طويلاً وهي في كامل قوتها وعطائها.
- ٣- التكامل الأخوي يتيح فرصة جيدة من أجل تحقيق صالح الأسرة، بحيث يعمل على عدم تضخم الذوات الإنسانية على حساب هذا الصالح العام.
- ٤- التكامل الأخوي يؤدي إلى تحقيق التوازن الأسري، بتحقيق معنى الأخوة السامي، فلا يستشعر الفرد فيها بالفوارق والمميزات سواء كان ذلك في الألفة أو المحبة أو الإرث أو المال أو في الجاه أو في غير ذلك، مما يحقق توازناً بين الفئات العمرية جميعاً.
- ٥- التكامل يوفر مهاد أسري سليم للعلاقات الأخوية باعتبار أن شبكة العلاقات الأسرية هي العمل الأول الذي يقوم به المجتمع المصغر، ومن أجل ذلك فإن التكامل هو الميثاق الرابط بين أفراد العائلة، كما ارتبطت عائلة موسى عليه السلام بذلك الحنان والتكامل.
- ٦- التكامل الأخوي يؤدي إلى توفير اشتراك أفراد الأسرة كلهم في اتجاه واحد، من أجل القيام بوظيفة معينة ذات غايات محددة وأهداف نبيلة.

٧- التكامل الأخوي يؤدي إلى توفير الفرص الكاملة للابتكار والأداء الممتاز في قلب كيان الأسرة من واقع التشظي إلى الانسجام بين الأفراد، فلا يجعل أفرادها يتفرقون إلى ذرات متنافرة، ويتحلل في النهاية عجزاً تاماً عن أداء النشاط المشترك.

٨- التكامل الأخوي يتيح للأسرة فرصة صحية لتناول أمورها ومشكلاتها العائلية من أجل علاجها، وحلها بالحللول الودية السليمة وعدم خروجها لخارج محيط الكيان الأسري.

٩- التكامل الأخوي فرصة طيبة من أجل تحقيق التكافل الأسري، وتحقيق العدل بين أفراد العائلة الذي يبنى الأفراد على أساس من علاقات أسرية حميمة (٩٩).

ثالثاً: التكامل على مستوى المجتمع

المجتمع هو ذلك المحيط الذي يعيش فيه الفرد، بل والبيئة التي يؤثر ويتأثر فيها، وقد أكرم الله عز وجل المسلم حين جعل من دينه رابطة تربط المسلم بأخيه المسلم مهما نأى المكان واختلف الزمان، وأصبح التكامل الأخوي يجمع بين القلوب المؤمنة، وينشئ العطف والرحمة فيما بينها، والتكامل من أهم خصائص المجتمع، به يسوسوا أنفسهم، وتقوى به المحبة بينهم وتنشئ بينهم المناصرة، وقيام المجتمع الصالح ضروري للفرد والأسرة والمجتمع كله (١٠٠). والتكامل يؤدي إلى القوة في الترابط والصحة في التوافق، والمنعة في التضام، وهو الذي يشد بناء الجماعة المسلمة بعضه إلى بعض، كما أن أسباب التكامل التي تربط المجتمع بعضه ببعض خمسة: الدين، والنسب، والمصاهرة، والمودة، والبر (١٠١).

أثر التكامل الأخوي على المجتمع:

- ١- التكامل الأخوي يحفظ على المجتمع تماسكه، فيحدد له أهداف حياته، ومبادئه الثابتة التي تحفظ له هذا التماسك والثبات اللازمين لممارسة حياة اجتماعية سليمة ومتواصلة.
- ٢- التكامل الأخوي يساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه، ويحفظ عليه استقراره وكيانه في إطار موحد.

(٩٩) نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لعدد من المتخصصين (١١٦/٢ - ١١٧ - ٨/ ٣٤٠٧) بتصرف شديد.

(١٠٠) الموااة والمعاداة في الشريعة الإسلامية لـ محاس بن عبدالله بن محمد الجلود (١/ ٢٦٦) بتصرف.

(١٠١) نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لعدد من المتخصصين (٢/ ٤٩٦).

٣- التكامل الأخوي يربط أجزاء ثقافة المجتمع بعضها ببعض حتى تبدو متناسقة، كما أنه يعمل على إعطاء النظم الاجتماعية أساساً إيمانياً وعقلياً، يصبح عقيدة في ذهن أعضاء المجتمع المتمين والمتفاعلين بهذا التكامل.

٤- التكامل الأخوي يقي المجتمع من الأنانية المفرطة، والنزعات، والأهواء والشهوات الطائشة التي تضر به وبأفراده، فهو يحمل الأفراد على التفكير في أعمالهم على أنها محاولات للوصول إلى أهداف وغايات تكاملية، وليس على أنها مجرد أعمال لإشباع الرغبات والشهوات الفردية والأنانية.

٥- التكامل يزود المجتمع بالصيغة الأخوية التي يتعامل بها مع العالم الطبيعي والبشر، ويحدد له أهداف وجوده، حتى يسلك في ضوءهما، ويستلهمهما الأفراد في سلوكياتهم الاجتماعية.

٦- التكامل الأخوي يزود المجتمع بالصيغة الملائمة التي تربط بين نظمه الداخلية من اقتصادية تنمية وسياسية إدارية، وبالتالي يحوطه بسياج حام من التفكك والانحلال والتفرد في القرار (١٠٢).

وبالنظر إلى التطبيقات المعاصرة يمكن القول: أن صيغة التكامل بين هذه الأبعاد الثلاثة (الفرد - الأسرة - المجتمع) هو الأساس في تناول هذه القيم، فكل بعد متكامل مع الآخر، وتتكامل كافة أبعاد التصانيف الثلاثة بعضها مع بعض مكونة التطبيقات العلمية والعملية للتكامل الأخوي الوارد في قصة موسى وهارون عليهما السلام. بيد أن عالم اليوم يفتقر لهذا النموذج الرفيع من التكامل وعجز عن تطبيقاته الواقعية متأثراً بالعمولة المعاصرة والنزعات المادية والتفرد بالرأي الذي قضى على القيم الإيمانية وروح التعاون والتكامل الإنساني، وطفئت فيه نزع الطمع وحب الذات والأنانية والاستعلاء وضعف التلاحم بين الأفراد، وتفككت عرى الروابط الأسرية والاجتماعية، وتمزق النسيج الاجتماعي، وساد التنافس المذموم والأثرة على حساب التعاون والبذل المشترك، ولهذه الأثرة واختصاص الذات أو الأقارب بالمصالح والمنافع دون غيرهم أضراراً كثيرة على الفرد والأسرة والمجتمع؛ لأنها نوع من الأنانية البغيضة تجلب الحقد بين الأفراد، وتمنع من وصول الحقوق لأصحابها، وتلك حالة تدعو إلى تدمير أصحاب الحق، وإلحاق الأذى بمن استأثر دونهم بالمال أو الوظيفة أو نحو ذلك من الحقوق التي ينبغي أن يكون الجميع فيها سواء، والأثرة والأنانية إذا شاعت في مجتمع من المجتمعات انحل

(١٠٢) المرجع نفسه (١/ ٨٦) بتصرف شديد.

عقده، وانفصمت عراه؛ لأن ذلك ظلم لأصحاب الحقوق، وظلم أيضاً لذوي الأثرة أنفسهم، كون تصرفهم بحقوق الغير يجعلهم كسالى مغرورين منصرفين عن حقوقهم الرسمية، وإذا ما حدث تبدل في الأوضاع، فإنهم يطالبون برد هذه الحقوق التي غالباً ما يكونون قد أضاعوها لعدم إخلاصهم في المحافظة عليها، وحينئذ تنقلب المنافع إلى مهالك تهوي بهم في غياهب الغربة والعزلة ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، والأولى بالمسلم الحق ألا يؤثر نفسه، أو أقاربه، أو أصهاره، أو عشيرته أو بني قومه بمنافع أو ممتلكات لا يستحقونها، حتى لا يعود ذلك وبالا عليه وعليهم، وعليه أن يتحلى بالإيثار بأن يفضل غيره على نفسه، فإن لم يفعل فالواجب عليه العدل بأن يعطي كل ذي حق حقه، وبالمقابل فإن على من وقعت عليه الأثرة أن يصبر ويحتسب من ناحية، وأن يطالب بحقه المعروف، وبالطرق السليمة من غير فحش ولا سفك دم، وأن يسأل المولى عز وجل أن يعينه، كما أعان موسى وهارون عليهما السلام، فالمبشرات لأهل الإيثار واضحة في قصة موسى وهارون مع فرعون وقومه، والمطالب بالحقوق والمظالم اليوم ليس بأفضل من موسى وهارون، والمغرور بالأثرة على حقوق الغير ليس بأخبر من فرعون وسحرته، وقد أمر الله موسى وهارون بالتكامل والصبر، وهذا المنهج من التفكير والعمل هو الذي غير مجرى التاريخ، وأتى بالمعجزات، وأدهش العقول، وحير الألباب ببزوغ نور الحق من وسط ظلمة الباطل، وتخلد ذكره في كل العصور والأزمان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨) وهكذا تكتمل الصورة من قصة موسى وهارون لترسم لنا منهجاً عملياً للتطبيقات المعاصرة يجسد التكامل الأخوي بأبهى صورته، فأنت تجد المواقف في سور مختلفة الأجزاء من القصة في سياق عجيب، وتجتمع الآيات والسور كلها، فإذا بالصورة كاملة أمامك لحظة بلحظة، وإن كان في موضع يذكر ما لم يذكر في الموضع الآخر وهكذا (١٠٤) والتي أصبحت كحاجة ملحة للتطبيق الواقعي إذ يجب على الآباء أن يشجعوا الأبناء على التعاون والتكامل بدءاً بالمهام العائلية ثم المجتمعية، والأهم من ذلك التعليمية وتبادل الخبرات فيما بينهم، واحترام الصغير للكبير وعطف الكبير على الصغير، حتى ينشأ الأبناء على ثقافة العمل الجماعي والتكامل الأخوي والتنافس الإيجابي المناهض للمنافسة السلبية الذميمة، مع الإشادة والتنويه بدور الكفاءات التي لا يخلوا منها أي عصر، وإشراكهم في المهام

(١٠٣) [الأنبياء: ٤٨].

(١٠٤) نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لعدد من المتخصصين (٩/ ٣٧٧٢) بتصرف شديد.

العظام والشرف الذي لا يضام، كما صنع موسى مع هارون، بل يجب أولاً القيام بمحاولة حصر تلك الكفاءات وإحصائها ودراسة أحوالها دراسة علمية دقيقة للعمل على استثمار طاقاتها وإخراجها من العزلة الانفرادية إلى العمل التكاملي، أو على الأقل العمل المخطط المضبوط المتناسق مع العمل الجماعي القائم على التكامل الأخوي المدروس؛ لأننا نواجه عدوًّا بل أعداء يعملون عملاً جماعياً منظماً كأعظم ما يكون العمل المنظم في السر والعلن.

المطلب الثاني: دور التكامل الأخوي في نجاح الدعوة وبناء الدولة.

يعد التكامل الأخوي في القرآن الكريم أصلاً من أصول القيادة الدعوية والسياسية، فكل نهضة دعوية أو دولة صالحة لا تقوم على فرد واحد، بل على تكامل القلوب والعقول والقدرات في منظومة من التعاون والتناصح والثقة. وقد عرض القرآن الكريم هذا المبدأ بأبهى صورته في قصة موسى وهارون عليهما السلام، حيث جعل الله تعالى الدعوة إلى فرعون مهمة أخوين متكاملين في الصفات والأدوار، فكان أحدهما رمزاً للقوة والعزيمة، والآخر رمزاً للبيان والحكمة، وهذا التكامل هو ما حفظ للدعوة توازنها، فكانت قوية في الحق، رحيمة في الأسلوب، مما جعل الرسالة أكثر قبولاً واتزاناً، بل لم يكن دور موسى وهارون مقتصرًا على الدعوة فقط، بل امتد إلى قيادة بني إسرائيل وتأسيس مجتمع إيباني بعد الخروج من مصر وآيات سورة [يونس: ٨٧ - ٩٠] تبين كيف حولت نبوتها واقع الأمة ونقلته من فقه الدعوة إلى فقه الدولة. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٧)، ومن محاسن النظم الكريم في هذه الآية أن الله أمر موسى وهارون وحدهما باتخاذ البيوت لقومهما؛ لأن ذلك من شأن الرؤساء والقادة. فالخولة للمريد لا بد منها في ابتداء أمره، فإذا قوي نوره ودخل مقام الفناء، صلح له حينئذ الخلطة مع الناس، بحيث يكون جسده مع الخلق وقلبه مع الحق، فإن الله رجالاً أشباحهم مع الخلق تسعى، وأرواحهم في الملكوت ترعى. وقال بعضهم: (الجسد في الحانوت والقلب في الملكوت)، فإذا رجع إلى البقاء لم يختار حالاً على حال؛ لأنه مع الله على كل حال، وهذا من أقوى الرجال. نفعنا الله بهم (١٠٥). ومعنى تبوء البيوت لقومهما أن يأمر قومهما باتخاذ البيوت على الوصف الذي يأمرانهم به. وإذا قد كان لبني إسرائيل ديار في مصر من قبل، إذ لا يكونون قاطنين مصر - بدون

(١٠٥) البحر المديد لابن عجيبة (٢/ ٤٩٤).

مساكن، وقد كانوا ساكنين أرض (جاسان) قرب مدينة (منفيس) قاعدة المملكة يومئذ في جنوب البلاد المصرية، لا جرم أن تكون البيوت المأمور بتبوتها غير البيوت التي كانوا ساكنيها. واضطرب المفسرون في المراد من هذه البيوت وذكروا روايات غير ملائمة، أهمها: أن البيوت بيوت العبادة أي مساجد يصلون فيها، وهذا بعيد، فالذي يظهر بناء عليه أن هذه البيوت خيام أو أخصاص أمرهم الله باتخاذها تهيئة، والحكمة في جعل البيوت إلى القبلة أن الشمس تدخلها من أبوابها في غالب أوقات النهار في جميع الفصول وفي ذلك منافع كثيرة^(١٠٦). وقيل: ﴿قَبْلَةً﴾ أي: متقابلة في وجهة واحدة، فالقبلة في اللغة ما يقابل الإنسان ويكون تلقاء وجهه، ومنه قبلة الصلاة؛ لأن الاتحاد في الاتجاه يساعد على اتحاد القلوب كقول الإمام للمصلين: (ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم) متأسيا بالرسول ﷺ. وحكمة هذا أن يكونوا مستعدين لتبليغها إياهم ما يهمهم ويعينهم مما بعثنا لأجله^(١٠٧)، وهكذا أراد الله أن تكون الدعوة إلى فرعون نموذجاً في العمل الجماعي المنظم، فكانت الوظائف متكاملة وفي معادلة دقيقة لا تتحقق إلا بتكامل النفوس المؤمنة وتوزيع الأدوار على أساس الكفاءة لا الأهواء، وقد استطاع أخوين اثنين، أن يواجهها أعظم طاعية في التاريخ، لأنها تحركا بقلب واحد وعقل مشترك، فكانت النتيجة نصراً إلهياً ونجاةً للأمم، وختاماً ينشر له الصدر: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٨٧)، أي بالنصر في الدنيا والجنة في العقبى^(١٠٨). ولما رأى موسى القسوة والإعراض من فرعون وملئه دعا عليهم: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(٨٨)، ويتجلى التكامل بتأمين هارون، واستجابة رب العالمين الوارد كلماته بصيغة المثنى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٨٩)، بل أن في السياق دليل على جواز الدعاء على الظالم بالمعصية أو الكفر، وقد فعله سعد بن أبي وقاص على الذي شهد فيه بالباطل، ووجه جوازه مع استلزامه وقوع المعاصي: أنه لم يعتبر من حيث تأديته إلى المعاصي، ولكن من حيث تأديته إلى نكايه الظالم

(١٠٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١١/ ٢٦٥).

(١٠٧) تفسير المنار لرشيد رضا (١١/ ٣٨٥).

(١٠٨) تفسير البضاوي (٣/ ١٢٢).

وعقوبته (١٠٩). وهو رد أيضًا على من يقللون من الدعاء الجماعي على الطغاة الكفرة واستجابة الله لذلك. وهاتان الآيتان هما الرابطتان بين سيرة موسى وهارون مع فرعون وقومه في مصر، وبين ما انتهت إليه من نصر الله له، وإنجاء بني إسرائيل من ظلم فرعون وإهلاكه عقابًا له (١١٠). ولقد كان هناك واجبات لهذه المرحلة، مرحلة الفترة ما بين الخروج، وما بين تسلط فرعون الفظيع، ليكون هناك رابطة قوية بين كل فرد من الأفراد، وبين القيادة للطائفة المؤمنة حتى يكون هناك التزام وتحرك في الوقت المطلوب، فلا بد من وجود هذه القيادة التي يحصل بها ذلك (١١١). وإذا اجتمع في القادة والدعاة في سبيل الله سبع صفات، حصل لهم النصر، وإن قلوا وكثر عدوهم، وهذه الصفات هي: الثبات - ذكر الله - طاعة الله ورسوله - عدم الاختلاف والتنازع - الصبر - التواضع - الإخلاص. ومتى فُقدت أو فُقد بعضها زال من النصر بحسب ما نقص منها، وإذا اجتمعت قوى بعضها بعضا، وصار لها أثر عظيم في النصر، ولما اجتمعت هذه الصفات في الصحابة رضي الله عنهم لم تقم لهم أمة من الأمم، وفتحوا الدنيا، ودانت لهم البلاد والعباد، ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت، وضعف الإيمان، آل الأمر إلى ما آل من الذلة والهوان (١١٢). ومما سبق بين يدي تطبيقات معاصرة يتجلى فيها التكامل الأخوي من عدمه، في مجال الدعوة والدولة والمقاومة وما شابهها.

أولاً: مجال الدعوة والدعاة.

إن نجاح الدعوة في الواقع المعاصر لا يتحقق بمجتهد واحد أو فرد مجاهد أو خطيب متحمس، بل يحتاج إلى تكامل بين العلماء والمربين والقادة والإعلاميين والباحثين والمفكرين، فالعالم يؤصل، والمربي يزكي، والإعلامي يبلغ، والمفكر يوجه. كما أن على المؤسسات الدعوية أن تتبنى روح الفريق الواحد لا روح الفرد، على غرار تكامل موسى وهارون، ليبقى الخطاب الدعوي متكاملًا متوازنًا بين الشدة على الباطل والرحمة بالخلق، كما أن للتكامل الأخوي لغة خاصة لا يعرفها إلا من عاشها، ولا يفهمها ولا يعلمها إلا من تذوق حلاوة الحب في الله. ولكن ثمة معوق خطير يجب الاعتراف به والتنبيه إلى خطورته وهو ذلك التطاحن والنزاع

(١٠٩) موسوعة فقه القلوب لمحمد التويجري (٣/ ٢٥٤٥)، وانظر البحر المديد لابن عجيبة (٢/ ٤٩٥).

(١١٠) تفسير المنار لرشيد رضا (١١/ ٣٨٦).

(١١١) القصص القرآني لياسر برهامي (٣/ ١٦).

(١١٢) موسوعة فقه القلوب للتويجري (٣/ ٢٥٤٥).

والصراع السلبي بين كثير من التيارات والأحزاب والطوائف، بل والجماعات الإسلامية ومراكزها الدعوية، مما جعلها مشغولة بانشغاقاتها، منصرفة عن رسالتها الأصلية ومهمتها التي من أجلها أسست، ومن المؤسف أن تكون بعض الجماعات مصرة على سلوك هذا السبيل لهدم جماعة أخرى باذلة في سبيل ذلك كثيرًا من الجهود والوقت والمال غير ملتفتة لما تبذره من طاقات، وما تفوته من فرص، وما تبثه من شقاق، وما تقدمه لأعداء الإسلام من خدمات جلي، وما تضيعه على المسلمين من خير كثير، بل والأخطر من هذا، الخلافات الهدامة بين الجماعة الواحدة. والأخطر من ذلك النزعات والمذاهب والفلسفات المادية التي تغد من الشرق ومن الغرب على السواء، وأبرزها دعاة فصل الدين عن الدولة، والتي تلتقي على غاية واحدة، محاولة قلع بذور الدين والتدين من العقول والقلوب، وأصحاب هذه الاتجاهات يحاولون إضفاء صفة العلم عليها، لما للعلم اليوم من سلطان على العقلية المعاصرة، وافتعال الادعاء أن الدين عدو العلم وهو اتجاه قد يكون له ما يبرره في بلاد نبذت الدين كلية، أو فشلت في التوفيق بين نظرة العلم ونظرة الدين، لكن هذا إذا ساغ في أي مجتمع يستظل بأي دين، فإنه في مجتمع يستظل بالإسلام لا يزيد عن تقليد جاهل أو محاولة مغرضة تريد حرمان المجتمع الإسلامي من أعظم مقوماته، ومن أعمق دوافعه، ومن أقوى حصونه في الصمود والدفاع عن نفسه في مواجهة أعدائه، بيد أن في مجتمع الإسلام ومنهجه القويم لا مكان لهذه المشكلة بالمرّة، فالدين الحق والعلم الصحيح أخوان، وفي تعاونهما معاً ازدهار الحياة وتقدمهما. والداعون للعلمانية في مجتمعات الإسلام هم بحق الرجعيون الذين ينطلقون من منطلقات جاهلة أو حاكمة، ومن فروع هذه الشجرة الآثمة (العلمانية)، ما نراه من انفصام بين الجامعات والمراكز التي تتولى شؤون البحث العلمي في بلادنا الإسلامية، وبين روح الإسلام ونظيرته للعلم والعلماء، وهي ثمرة مرة جاءت نتاجاً غير صالح لما كان من فصل متعمد بين التعليم الديني والتعليم المدني أرسى الاستعمار قواعده، ورسخ أصوله، وأحدث ثغرة هائلة في بنية المجتمع الإسلامي المعاصر.

وبهذا الموجز نكون قد ألقينا ضوءاً كافياً على ما يعترض الدعوة الإسلامية من مشكلات، وما يعترض الدعاة من عقبات، حرصنا على أن نضعها في أطرها العامة؛ ليسهل التعرف عليها، والنفاذ إلى جذورها وأسبابها، بما يهيئ السبل الصحيحة لعلاجها، والخلاص منها، لنسدل الستار من أن المبشرات لأهل الإيمان بأسقة في قصة موسى وهارون والتي لو استطعنا تحقيق

وتطبيق معطيات آياتها الكريمة في محيط واقع الدعوة الإسلامية ومجالاتها لكان لها من هذا التطبيق ما يخلصها من مشكلاتها، ويمنحها قوة دافعة تسرع بها نحو غايتها وأهدافها (١١٣).

ثانياً: مجال الدولة والإدارة.

الدولة الحديثة الناجحة هي التي تبني قراراتها على تكامل الوزارات والمؤسسات والإدارات، لا على سلطة الفرد الواحد، فالحاكم بحاجة إلى وزراء أكفاء مخلصين، كما احتاج موسى إلى أخيه وزيراً ومعيناً؛ لأن الإصلاح لا يقوم على صوت واحد، بل على تكامل وتعاون، وفي واقعنا نرى أن الدول التي نجحت في مكافحة الفساد والنهوض بالتنمية، هي تلك التي اعتمدت على روح التكامل بين القيادة والمؤسسات، أي بين موسى القرار وهارون البيان في رمزيتهما القرآنية، وهكذا نرى في الجانب السياسي، فإن غياب التكامل بين أقطاب الحكم في الدول العربية والإسلامية يؤدي إلى ضعف القرار واضطراب الثقة العامة. ويُرى ذلك بوضوح في بعض الدول التي شهدت خلافات، حيث تنازعت الصلاحيات بدل أن تتكامل في إدارة شؤون الدول، فتحول الخلاف من تعدد إيجابي في وجهات النظر إلى صراع شخصي أو حزبي أو طائفي أو مناطقي، فعمّلت مشاريع التنمية، وضعف ثقة الناس بالحكومة، وانتشر الغلاء والوباء والفقر والعوز، وسادت الفوضى والمحسوبية، واستغل الخصوم هذا التشرذم لإضعاف الدول وتمزيقها، مع أن واقع الأمة اليوم يؤكد أن النجاح في الوزارة والإدارة لا يتحقق إلا بالتكامل الأخوي، لا بالتنازع والتحزب، ولا بالمحاصصة المقيتة في الوزارات وغيرها من مؤسسات الدولة، واختيرت الحكومات ووزرائها على غير الطريقة الصحيحة، وحصلت فجوة كبيرة، وصراع سلطة بين الوزراء والرؤساء من جهة، والوزراء والمدراء من جهة أخرى، مع أنه يجب أن يكون الوزير أو المدير محمود الطريقة، حتى إذا رأى في ملك الحكم خلة مذمومة غير رشيدة، رده إلى العادة المستقيمة الحميدة من غير غلظة شديدة، وأعظم فساد ينشأ في دولة يكون من أمرين: أحدهما من الوزير الخائن، والثاني من نية رئيس الدولة الرديئة الفاسدة.

وليس العالم العربي والإسلامي ككل اليوم بأشد افتقاراً إلى شيء منه إلى حكومة تمثله تمثيلاً صحيحاً، وتقوم على أساس الشورى والحكم الرشيد، والنصيحة والخدمة، فإن الإسلام نفسه لا يؤثر في عقول الناس، ولا يشفي المتفحصين حتى تكون له رقعة في الأرض ودولة، تتمثل فيها حياته وتتجلى فيها مدنيته واجتماعه، وتظهر فيها نتائج دعوته وتعاليمه، وهذا من أهم

(١١٣) المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة، الجامعة الإسلامية، المدينة (ص: ١٣٧ - ١٥٣) بتصرف شديد.

المعاني التي نحتاجها في ظروفنا الحالية، وهو أن نكون كالبيان أو البنيان، أن نقرب من بعضنا، أن يحب بعضنا البعض، أن نتعايش بمعاني الأزمة التي نحن فيها بالفعل، هذه الأزمة التي تجعل الناس كل منهم يسد ثغرة في هذا القارب الذي كثرت الثغرات فيه^(١١٤).

ثالثاً: أثر الخلاف وضعف التكامل على نجاح الدعوة وبناء الدولة.

١- فشل الدعوة في الوصول إلى الجماهير بسبب تشتت الخطاب، وتناقض المواقف، والعجز في التكامل.

٢- انقسام الصف الدعوي، وتراجع روح الأخوة، والتكامل بين العاملين في الميدان الواحد.

٣- إضعاف ثقة الناس بالخطاب الديني نتيجة الصراعات، وخاصة بين الجماعات المتقاربة.

٤- تعثر الإصلاح السياسي والإداري بغياب التكامل في الحكم، وتحول الشراكة إلى صراع على النفوذ.

٥- ضياع هيبة الدولة وتباطؤ التنمية بسبب غياب الرؤية التكاملية المشتركة وتنازع السلطات.

٦- تسلل الأعداء إلى الصف الداخلي، وتمزيق عراه، مستغلين ضعف التنسيق وفقدان وحدة القرار.

٧- انطفاء القدوة في نظر الجيل حين يرون تنازع القادة والعلماء حل محل التكامل والإخاء.

رابعاً: التطبيقات المعاصرة للتكامل الأخوي ككل

١- منهج موسى وهارون عليهما السلام هو النموذج القرآني الدائم لنجاح الدعوة وبناء الدولة.

٢- القيادة الناجحة لا تقوم على التفرد والأنانية، بل على التكامل والتشاور والاختلاص.

٣- الدعوة المتزنة تحتاج إلى من يجمع بين الحزم واللين، كما جمع موسى وهارون.

٤- كل نجاح حكومي أو إداري يستمد قوته من وحدة الصف وتوزيع الأدوار وتكامل الرؤى.

٥- التكامل الأخوي مبدأ إلهي، يتجاوز المحاصصة والمحسوبية إلى عمل جماعي لله تعالى.

٦- التاريخ يثبت أن كل أمة تفرقت إراداتها سقطت، وكل أمة تكاملت إدارتها نهضت.

٧- التكامل الأخوي ضرورة شرعية لحفظ وحدة الصف الدعوي والسياسي والحكومي.

٨- التنوع في المدارس الفكرية مصدر غنى وإبداع، لا سبب شقاق وتنافر وعقوق.

٩- الدولة الناجحة هي التي توزع الصلاحيات، وتوحد الهدف العام، وتحفظ كرامة أبنائها.

(١١٤) التبر المسبوك لابي حامد الغزالي (ص: ٨٦-٨٧)، وانظر الأخوة أيها الإخوة لابي العلاء المصري (ص٩) بتصرف.

وهكذا يُثبت القرآن الكريم بما لا يدع مجالاً للشك أن التكامل الأخوي هو سر نجاح الرسالات وقيام الدول، وأن منهج موسى وهارون عليهما السلام ليس قصة ماضية، بل دستور قيادي ودعوي معاصر، يذكر الأمة أن التكامل والتعاون في سبيل الله هو السبيل إلى النصر والنهضة، وجعل الوحي مشتركاً بين الأخوين، مما يدل على أن إدارة المقاومة والدولة الناشئة لا تكون بانفراد القائد، بل بتعاون الشركاء في القيادة والرئاسة والعمل المؤسسي ككل.

المطلب الثالث: مشروعية اتخاذ الأقارب في مرحلة المواجهة والتأسيس

هذا المطلب من أعمق التطبيقات في قصة موسى وهارون عليهما السلام؛ لأنه يتناول فكرة إسناد المسؤوليات للأقارب في مرحلة التأسيس والمواجهة، لا من باب العصبية أو المحاباة، بل من باب الثقة والكفاءة والتكامل، وهو أصل قرآني معتبر إذا تحققت الشروط الشرعية. وتُعد مرحلة المواجهة والتأسيس من أخطر المراحل التي تمر بها الدعوة والبعثة، ومثلها المقاومة والسلطة والدول والحكومات، إذ تحتاج إلى أعوان موثوقين يجمعون بين الولاء والقدرة، وبين الأمانة والكفاءة. والوزارة المتعارفة بين الناس ممدوحة إن زرع الوزير في أرضها ما لا يندم عليه وقت حصاده بين يدي ملك الملوك، وفيه إشارة إلى فضيلة التوسط بالخير للمستحقين لا سيما إذا كانوا من ذوي القرابة. ومن منع المستوجبين فقد ظلم، وفي تقديم موسى عليه السلام مع أنه أصغر سنًا على هارون عليه السلام مع أنه الأكبر دليل على أن الفضل غير تابع للسن أو القرب أو البعد، فالله تعالى يختص بفضله من يشاء (١١٥).

ونعني بمرحلة المواجهة: التصدي للتصرف بجرأة وشجاعة، وهي هنا خاصة بمرحلة النزاعات والمقاومة والكفاح أمام الأعداء والمحتلين أين كانوا، داخليين أو خارجيين، كفر أو منافقين. والتأسيس كذلك هو الإنشاء والمساهمة في بناء عتبات الدولة مثلاً، أو تأسيس فرق المقاومة نفسها، ويكون بعد النصر أو حتى في أثناءه (١١٦)، كما يحصل في بعض الدول التي هدمت أركان أنظمتها الحروب الخارجية أو المستوردة، ومزقت كياناتها النزاعات الداخلية، الحزبية، أو الطائفية، أو العنصرية، فدمرت جراؤها دول، وسقطت أنظمة، وتهاوت عروش، وخربت حكومات، ونهبت بلدان، وملأت العواصم بالقواصم، وسفكت الدماء، وشرد الرجال والنساء، وانتهكت الأعراض، واستبيح كل شيء، كموافق أدت إلى تأسيس مجاميع

(١١٥) تفسير الألوسي (٨/ ٥٢٦) بتصرف.

(١١٦) معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي (ص ٤٦٧) ومعجم اللغة العربية لـد. أحمد مختار (١/ ٩٣) بتصرف.

مقاومة، عانت صنوف التشريد وويلات الابتزاز والاضطهاد، مصداقا لقول الحق سبحانه: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوْمِعُ وَيَبْعُ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُ يَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ (١١٧).

وفي وسط هذا الركام من العبث المادي والمعنوي وما نتج عنه من ملاحقات واغتيالات واستهداف القيادات، والفتك والهتك بالوجاهات والقذوات التي قلما تجدها في العصر الحاضر (كإبل المائة لا تجد فيها راحلة)، مع ما يقابله من انتشار ضعف الإيمان، وكثرت الخيانات، وندرة وجود الأمين، حتى لا تجد في العشيرة أو القبيلة إلا أمين واحد. كواقع يحتم على كل رئيس أو قائد مقاومة أو رائد ثورة حقيقية أن يختار ويصطفي بطانته أو وزيره أو مدير مكتبه أو حرسه أو من ينوبه في مهمة من المهام العظام من الأقارب والموثوقين والمخلصين، إلا أنك ترى ومع هذا الواقع الأليم أسنة حداد، واتهامات جزاف تطل كل من يتخذ الحراسة أو البطانة الأخوية الصالحة المخلصة. وفي هذا السياق جاءت قصة موسى وهارون عليهما السلام أنموذجاً قرآنياً رائداً في اتخاذ الأقارب شركاء في المهمة الرسالية، وكذا القيادية والادارية، مما يبين أن القرابة ليست مانعاً من المشاركة في المهمة، بل قد تكون مصدر قوة إذا استعملت في موضعها الصحيح، بعيداً عن العصبية والتمييز.

والسلطة في النظام السياسي الإسلامي مستمدة من الشرع، وحق الطاعة الممنوح للولادة إنما ترجع إلى الشرع واختيار الرئيس والوزراء وكل المناصب لا يرجع إلى الأمة أو الشعب أو إعلامهم السامق، كما هو الحال في الأنظمة العلمانية التي تجعل الأمة أو الشعب أساس السلطة السياسية ومصدرها في الدولة، يختارون كيف يشاءون عبر البطاقة الحزبية أو الجهوية، دون التركيز على الكفاءات والمخلصين بغية التصويت، أو العدد في المجالس والجمعيات والاجتماعات. ومشروعية اتخاذ الأقارب في قصة موسى تجلت في أهم مرحلة من مراحل المواجهة المملوءة بالخوف، مواجهة أكبر طاغية بعد قتله لنفس منهم، وليس أخوف من القتل والدم، فحين قتل موسى من بني إسرائيل قتيلاً، وحين كانوا يأتمرون به ليقتلوه، سأل ربه أن

يشرح له صدره ويسر له أمره، ويطلق لسانه فلا يتلعثم، ولا ينعقد عن تبليغ أمر ربه، وأن يشد أزره بأخيه هارون ليصدقه ويعاونه (١١٨).

ولتأصيل الموضوع نسرده عدد من أدلة القرآن الكريم والسنة وأقوال سلف الأمة ليتضح المقام: أولاً: الأدلة من القرآن الكريم.

القرآن الكريم هو مصدر الدين عقيدة وشريعة، وأساس الإسلام ودستوره، وهو أقوى حجة وبرهان، فليس وراءه مصدر إلا ما كان يخرج من مشكاته، وقد سلطنا طريقة مثلى في استنباط أدلته، يبحث فعل (وهب) ومشتقاته أولاً، ثم رتبنا آيات الدليل على ترتيب المصحف، فبدت لنا صورة إعجازية فريدة في الفعل، حيث لاحظنا تكرار لفظه مرات وأغلبه في طلب واصطفاء الأقارب والمخلصين الصالحين، وفي آيات أخرى على طلب الملك والحكم كدليل آخر على جواز طلب الإمارة والرسالة وغالبه على لسان أبي الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّبْرِ حِينَ﴾ (٨٣) ﴿وَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٨٤) وجاء الجواب المتضمن استجابة رب العالمين لذلك، وكذا هبته ذرية نبوية خالصة في الأنعام قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٥) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٤). ثم ننظر هبة الله لأحد ذريته: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) (١٢٠). أما الموهوب سليمان فكان طلبه أكبر مما يتصور: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٣٥) (١٢١). فوهبه الله جنوداً: ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧) (١٢٢). وإن كان ما ذكر من الوهب كله من الخالق نجعل الدليل الثالث والأخير في مشروعية طلب الإمارة من المخلوطين: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾، أي عزيز مصر ﴿أَتُوفِي بِهِ؟﴾ أي ييوسف عليه السلام ﴿أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي﴾ تحقيق ومقابلة شخصية:

(١١٨) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (١٠١٨/٦) وانظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٩/٢٥-٢٢) بتصرف.

(١١٩) [الشعراء: ٨٤].

(١٢٠) [ص: ٣٠].

(١٢١) [ص: ٣٥].

(١٢٢) [النمل: ١٧].

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾^(٥٤) لم يطلب يوسف عليه السلام سفاسف الأمور، بل كانت همته عالية جداً، اختار الوزارة السيادية بحكمة: ﴿قَالَ جَعَلَنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾^(٥٥) وزكى نفسه، وجاء بالحيشة: ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِمُ﴾^(٥٥) والنتيجة: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي أعطيناه سلطة: ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ﴾^(١٢٣) وبنو إسرائيل هم البقية الباقية من يوسف عليه السلام وإخوته، لما جاءوا إلى مصر- في أيام العزيز الذي أشركه في مملكته، قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾، وعقب بعدها بـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾^(٥٥) أي: ثم بعد ذلك التراخي أي في النهاية جاء موسى وأخوه هارون عليهما السلام، وكذلك لأن رسالتهما أقرب، وبقايا شرعهما وأمتهم لم تزل معروفة عند العرب، وحسن هنا الترتيب زمانا في الإرسال ومكانا في المصحف^(١٢٥). وقوله في [يونس: ٧٥]: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُ بِهَارُونَ وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ وفي الآيتين معا تأكيد بعد تأكيد، فهذا الترتيب الرتبى بـ (ثم)، يوحي لنا أن موسى لما اقتضت الحكمة تأييده لم يؤيد بملك، ولكنه أيد برسول مثله، بل وأقرب الناس إليه هارون^(١٢٦). ومن خلاله نتقل للأدلة في قصتيهما بدأ بأول آية من فعل (وهب) وجوابه، ثم نتقل للآيات الأخرى بترتيب ذكر (هارون) في المصحف.

١ - قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَمْنِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾^(٥٦)، الآية بيان أن هارون هبة من رحمة الله تعالى بعد إلحاح الأصغر موسى العون بأخيه الأكبر هارون بالطلب الوارد في قوله: ﴿وَجَعَلْنِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾^(٢٩) هَارُونَ أَخِي^(٣٠) أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى^(٣١) وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي^(٣٢)، وهكذا طلب من ربه أن يعينه بأخيه هارون، وهو من أولي العزم وأقواهم، لكن هناك تدبر بديع لعلاقة الصغير بالأكبر، وطلب المدد بالأخ الشقيق يظهر لنا نموذج راقٍ لكيفية استعانة (موسى) بأخيه الأكبر هارون، ولأن الأخ سند وأمان وخاصة في مثل هكذا ظروف، فلم

(١٢٣) تفسير الشعراوي (٤/ ٢٣٠٧ و ١١/ ٦٩٩٩ و ١٥/ ٩٢٨٢) بتصرف. والآية من [يوسف: ٥٤ - ٥٦].

(١٢٤) [المؤمنون: ٤٤ - ٤٥].

(١٢٥) تفسير أحمد حطية (٥١/ ٤).

(١٢٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٩/ ٢٥) بتصرف.

(١٢٧) [مريم: ٥٣].

(١٢٨) [طه: ٢٩ - ٣٢].

يطلب وزيراً من غير أهله، بل من أقرب الناس إليه كأقوى دليل على اتخاذ الأقارب في الحكم. قال الطاهر بن عاشور (١٢٩): خص هارون لفرط ثقته به، ولأنه كان فصيح اللسان مقوالاً، فكونه من أهله مظنة النصح له، وكونه أخاه أقوى في المناصحة، وكونه الأخ الخاص؛ لأنه معلوم عنده بأصالة الرأي. وختم السياق بقوله: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ (٣٦) (١٣٠).

٢- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨) (١٣١)، وفي [الفرقان: ٣٥] قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا﴾ (٣٥) وفي هذا الدليل فوائد أهمها:

- أن الآيتين بمثابة جواب للطلب الوارد في طه، وورد على الترتيب المقرر في المصحف (١٣٢).
- تأكيد إرسالهما باستخدام ألفاظ جلييلة وغاية في الدقة بدأها الحق بـ (واو) العطف المفيدة للترتيب الذكري أو الانتقال في السياق، و(لام) جواب القسم و(قد) التي تفيد التحقيق، أي كأن الحق يقول والله لقد أجبنا دعائه بما يريد بوجهه أقرب الناس إليه ليشركه في المهمة.
- آية الأنبياء أتت كالتهيئة والتمهيد، توضح الامتنان والتكريم لهما، وجعلتهما في رتبة واحدة في العطاء، والشراكة في التبليغ، وآية الفرقان فرقت بينهما من حيث المنصب، من صاحب النبوة الأصلية ومن الوزير المشارك، وإن كان المقام فيها مقام مواجهة، والعكس صحيح. أسلوب سورة الأنبياء يتمحور حول الهداية والابتلاء، إلا أنها ذكرت الفرقان كبيان معياري. والفرقان: لا تستعمل إلا للأمر الجلييلة العظيمة، والمتأمل في مادة (فرق) في القرآن يجد أن لها دوراً في قصة موسى عليه السلام، فأول آية من آياته: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ (١٣٣)، والآيتان تؤكدان بما لا يدع مجالاً للشك على أن القيادة كانت مزدوجة

(١٢٩) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٩/٢٥) بتصرف.

(١٣٠) [طه: ٣٦].

(١٣١) [الأنبياء: ٤٨].

(١٣٢) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل لأبي جعفر الثقفي (٢/٣٢٩) بتصرف.

(١٣٣) تفسير الشعراوي (١٥/٩٥٦٢) والآية من [البقرة: ٥٠].

متعاونة، وأن الوحي نزل إلى موسى وأخيه معًا، وإن كانت الرئاسة فيهم لموسى، وهارون وزيره ونصيره، إلا أن النجاح السياسي والإصلاحي لا يتحقق إلا بتكامل القيادة (١٣٤).

٣- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (١٣٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ (١٣٥).

وفي [القصص: ٣٣ - ٣٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (٣٣) وَأَخِي هَرُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٣٤). في هاتين الآيتين نرى دقة الأداء القرآني في تكرار جملة: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٣٤) إلا أنه في الأولى ورد قبل ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ لأنه يشكو من حبس لسانه. وفي الثانية بعد: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ ليؤكد سبب الطلب، وقوله: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ﴾ (١٣٥) ليس القصد من هذا الكلام التنصل من الاضطلاع بهذا التكليف العظيم ولكن القصد تمهيد ما فرعه عليه من طلب تشريك أخيه هارون معه؛ لأنه أقدر منه على الاستدلال والخطابة كما قال في الثانية: ﴿فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ وما أجمله في الأولى بينه في الثانية، ليعلم أن في الكلام إيجازاً. وأنه ليس المراد، فأرسل إلى هارون عوضاً عني. والأجمل في ذلك كله أن الآيتين مستأنفة لما ورد في سياق طه: [٢٥ - ٣٦] أي كأنه قيل فماذا قال موسى ف قيل: ﴿قَالَ رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (١٣٦) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (١٣٧) وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي﴾ (١٣٨) لسبب قوله: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ (١٣٦) ولم قال في طه: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (١٣٩) هَرُونَ أَخِي﴾ (١٤٠) فقال لأنه: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾. وتأكيد طلب الردء هنا فصله أيضاً في طه ثانية: ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ (١٤١) وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي﴾ (١٤٢) (١٣٧).

ثم ذكر سببا آخر في الحاجة إلى طلب العون، وهذا اللاحاح كله المترابط في الدليلين معا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (١٣٢). وهذا الاستنباط هو سبب إعادة الآيات هنا،

(١٣٤) [المؤمنون: ٤٤].

(١٣٥) [الشعراء: ٩ - ١٣].

(١٣٦) [الشعراء: ٩ - ١٣].

(١٣٧) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٩/ ١٠٧)، وانظر فتح البيان لأبي الطيب البخاري (٨/ ٢٢٧).

والترابط والايجاز في تأويلها بمثابة اختصار لما بسط من القصة في موضعها من القرآن الكريم (١٣٨).

وهذه الآيات أصل في مشروعية الاستعانة بالأقارب الأكفاء في العمل القيادي والإداري والدعوي.

٤- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٦﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنْ أَكْثَرِ الْعَالَمِ ﴿١١٧﴾﴾

وَصَرَّفْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٨﴾ وَأَيَّدْنَاهُمَا بِآيَاتِنَا الْمُبِينَةِ ﴿١١٩﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٠﴾

وَتَرَكْنَاهُمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢١﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٣﴾

إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾ آيات [الصفات: ١١٤-١٢٢] عطرت سيرة موسى

وهارون عليهما السلام، ويكفي أن يقول الحق فيها ما ورد في هذا الختام الجميل: وكفى بطلب

العون دليلاً على التقبل لا على التقليل. فجعل الله عز وجل هارون نبياً مع أخيه موسى (١٣٩)،

هذا وإن دل على شيء إنما يدل على أن الكلام في الدعاء وشرائطه وفوائده وسائر ما يتعلق به

وفحوى إجابته ومضمون ما دوناه من بداية الأدلة إلى ختامها تجد نتائجه ومستخلصه في

ختامه هذا، فلله إعجاز هذا القرآن الكريم ونظمه وترتيب آياته وترابط سياقاته، فليس مثله

تنزيل ولا أحسن من مصدره برهان ودليل على مشروعية وجواز ما نقول. والله تعالى أعلم.

ثانياً: الأدلة من السنة

السنة النبوية المعصومة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي نأخذ منها، أولاً

الدليل العام ثم ما هو متعلق بقصة موسى وهارون وشذرات أخرى فقط، كما في دليل القرآن

الكريم آنفا الذي كنا قد أفضنا فيه.

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١٤٠)،

صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» - لبطون قريش - حتى

اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب

وقريش، فقال: «أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟»

قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو

(١٣٨) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٥٠) وانظر تفسير المراغي (١٩/ ٥٠) بتصرف.

(١٣٩) البحر المديد لابن عجيبة (٤/ ٦١٦).

(١٤٠) [الشعراء: ٢١٤].

لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ۚ وَمَا كَسَبَ ۚ﴾ (١٤١). وفي هذا الحديث دليل على البدء بالأقارب أولاً حتى في الدعوة؛ لأنهم العضد والمحيط والركن الذي يتكئ عليه المبعوث في مهامه، وبهذا النموذج بدأت دعوة كثير من الأنبياء والمرسلين ونكتفي بهدي نبينا ﷺ.

٢- عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - (أن رسول الله ﷺ خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي؟). وفي رواية مثله، ولم يقل فيه: «غير أنه لا نبي بعدي». أخرجه البخاري ومسلم. ولمسلم: أن رسول الله ﷺ قال لعلي: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي). قال ابن المسيب: أخبرني بهذا عامر بن سعد عن أبيه، فأحببت أن أشافه به سعيداً، فلقيته، فقلت: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ فوضع إصبعيه على أذنيه، فقال: نعم، وإلا فاستكنا. وفي رواية الترمذي مختصراً: أنه قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» (١٤٢).

٣- عن أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اللهم إني أقول كما قال أخي موسى، اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي، أخي علياً أشد به أزرى، وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً). وروى الخطيب عن البراء والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس بلفظ: (علي مني بمنزلة رأسي من بدني) (١٤٣).

(١٤١) رواه البخاري في صحيحه، باب سورة تبت يدا أبي لهب وتب، ومسلم في صحيحه، باب في قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١٩٣: ١، ١٩٤) ح (٢٠٨). منهج محمد بن عبد الوهاب في التفسير لعبد المحسن البدر (ص ٢٦٢)، وانظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لمحمد فؤاد بن عبد الباقي (١/ ٥٢)، وانظر صحيح البخاري (١١١/ ٦)، برقم (٤٧٧٠)، باب وأندر عشيرتك. والآية من [المسد: ١- ٢].

(١٤٢) رواه البخاري في المغازي، باب غزوة تبوك، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي رضي الله عنه، وكذا مسلم برقم (٢٤٠٤)، والترمذي برقم (٣٧٣١)، وانظر جامع الأصول لابن الأثير (٨/ ٦٤٩)، برقم (٦٤٨٩)، وصححه الألباني، انظر سنن ابن ماجه (١/ ٤٢)، وانظر مسند الإمام أحمد (٣/ ٦٦). (١٤٣) حديث أسماء، أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٦٧٨)، برقم (١١٥٨)، وحديث ابن عباس، أخرجه البرهانفوري في كنز العمال (١١/ ٦٠٣)، برقم (٣٢٩١٤)، وانظر مرقاة المفاتيح لعلي بن سلطان (٩/ ٣٩٣٢)، والرياض النضرة في مناقب العشرة لأبي العباس (٣/ ١١٨). و قال: السيوطي في الجامع الصغير (ص ٨٢٤٠)، حكم الألباني (ضعيف)، انظر حديث رقم ٣٨٠٣ في ضعيف الجامع.

وعن حبشي بن جنادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (علي مني، وأنا منه، ولا يؤدي عني إلا علي) (١٤٤).

٤- عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: (لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقبل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه. فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم) (١٤٥). هذا الحديث ورد في المغازي ويستشهد به على مشروعية اتخاذ الأقارب في القيادة العسكرية إن كان ما سبق في المدينة.

ثالثا: أقوال العلماء:

العلماء ورثة الأنبياء، ورثوا العلم ليتنفع به، وحجة للأولياء، ونبدأ أولا بتنفيدهم لأبرز أحاديث المصطفى ﷺ المخرجة آنفا لنربط الأدلة بعضها ببعض. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤٦): (وأما مناقب علي التي في الصحاح، فأصحها قوله ﷺ يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وقوله في عزوة تبوك: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

(١٤٤) - أخرجه أحمد في مسنده (١٦٤/٤) برقم: (١٧٥٠٥ و ١٧٥٠٦ و ١٧٥١٠ و ١٧٥١١ و ١٧٥١٢)، والنسائي في الفضائل (٨١٤٧)، والطبراني في الكبير (٣٥١٢ و ٣٥١٣)، الأنوار الوهاجة في شرح سنن ابن ماجه لمحمد بن علي بن آدم بن موسى (٢١٩/٣). وقال المؤلف: حديث حبشي بن جنادة صحيح، ورجال هذا الإسناد: ستة. المرجع نسه.

(١٤٥) أخرجه البخاري برقم (٢٩٤٢) و (٣٠٠٩) و (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦)، وأحمد في مسنده (٢٢٨٢١)، وأبو داود في سننه (٣٦٦١)، والنسائي في فضائل الصحابة (٨٠٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٩٣٣). الأنوار الوهاجة في شرح سنن ابن ماجه لمحمد بن علي بن آدم بن موسى (٢٢٩/٣)، وانظر معارج القبول للحافظ الحكيمي (١١٨٣/٣).

(١٤٦) شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن ناصباً لسليمان بن صالح (ص ١٧٨).

وفي قوله ﷺ: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟) قال الحكمي (١٤٧): هذا الاستثناء يزيل الإشكال، ويخصص عموم المنزلة بخصوص الأخوة والاستخلاف في أهله فقط لا في النبوة كمشاركة هارون لموسى فيها.

وورد في الموسوعة الفقهية الكويتية (١٤٨): ما نصه: ودليل مشروعيتهما من القرآن الكريم قوله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) ﴿هَؤُلَاءِ أَخِي﴾ (٣٠)، وقال: الماوردي: وإذا جاز ذلك في النبوة، كان في الإمامة أجوز، ونقل بنصه عن أبي يعلى الفراء وأضاف: أما تقليد الوزارة فجائز. وقال الطرطوشي: لو كان السلطان يستغني عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران.

وقال د. خالد الجريسي: كما نتلمس من خلال سياق آيات موسى الإشارة إلى إعطاء المسؤول الحرية في اختيار مساعديه (١٥٠). وتخصيص ما سبق بجوهر الدليل نقل ما أورده القاضي أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم (١٥١): ليس في تولية الأقارب إثم ولوم ما داموا أكفاء مخلصين، فقد ولى رسول الله ﷺ ابن عمه علياً بن أبي طالب على الأخماس باليمن والقضاء بها، وكذلك فعل علي بن أبي طالب لما ولي الخلافة، فكان من ولاته عبدالله بن عباس، وقثم بن عباس، وثمامة بن عباس. يقول د. محمد مطني (١٥٢): إذا كلف والي أمر المسلمين أحدًا بمهمة ما، أو أسند إليه مسؤولية ما، لا ضير عليه أن يطلب إشراك غيره معه في المهمة حتى ولو كان ذلك المستعان به أخوه، أو ابنه، وشرط أن يكون العمل المكلف به مما يرضي الله أولاً.

وقد ناقش المؤلفون المعاصرون (١٥٣): عدة قضايا تخص الولاية في خلافتي عثمان وعلي منها تولية الأقارب، حيث أن عثمان عين عددًا من أقاربه على البصرة والكوفة والشام ومصر - كما أن علياً عين أربعة من أبناء عمه العباس على الولايات المهمة (البصرة واليمن والحجاز).

(١٤٧) معارج القبول بشرح سلم الوصول للحافظ أحمد بن علي الحكمي (٣/ ١١٨٢).

(١٤٨) ص (٤٣/ ١٢١)، وانظر الأحكام السلطانية لكلام: الماوردي (ص ٢٢) وأبو يعلى الفراء (ص ٢٩).

(١٤٩) [طه: ٢٩ - ٣٢].

(١٥٠) إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري لد. خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي (ص ٧٩).

(١٥١) العواصم من القواصم لابن العربي (ص ١١٠)، وانظر جوامع السيرة لابن حزم (ص ٢٤).

(١٥٢) سورة القصص دراسة تحليلية للدكتور محمد مطني (١/ ٤٢٦٩).

(١٥٣) نقله صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ في إتحاف السائل بها في الطحاوية من مسائل (ص ٦٣٩).

ولما حج أبو بكر بالناس عام تسع من الهجرة كان هو أمير الحج، وعلي رضي الله عنه كان معه ليقراً على الناس أول سور (براءة) (١٥٤)، فرغب ﷺ في أن لا يحدث اختلاف في هذا الأمر، وأن يعلن البراءة من المشركين في أن لا يحج بعد العام مشرك، وأن يعلنها أقرب الناس من رسول الله ﷺ وهو علي بن أبي طالب ابن عمه وزوج ابنته، مع أن أبي بكر رضي الله عنه هو الأمير، وعلي بن أبي طالب تابعاً له، وسبب إرسال علي رضي الله عنه مع أبي بكر أنه كان من عادة العرب أنها لا تقبل الأمر الجلل إلا من الرجل نفسه أو من ذي قرابة منه يقول بقوله (١٥٥).

وهذه واحدة من أهم المسائل في هذا الموضوع، إذ تطبيقاتها الواقعية في الجاهلية المعاصرة حذو القذة بالقذة. فالسلطة في نظر الجيل لم تسموا إلى مقامات عليا من الالتزام بالخير والصالح والتجرد للحق والعدل، ولن يهابوا ويرتدعوا إلا من ذي قوة سلطان وقرابة مخلصه، بل المشكلة الأبرز في مجتمعاتنا المعاصرة إنما تحدث عندما يرجح الحاكم من يراهم أهل الثقة على أهل الخبرة والأمانة، فتختل موازين العدل. وعلى القائد الذكي أن يختار من الأقارب أو من غيرهم الذين يتمتعون بالأمرين معاً، أمانة على المحكوم، وثقة عند الحاكم، وحرصاً عليه. وبهذا تعتدل الحياة على منهج الله، وتبرز صورة التكامل والاستخلاف الحقيقي في الأرض (١٥٦). وعند تعيينه أحد أقاربه في أي من السلطات، فإنه يحتاج إلى شرط زائد على شروط التعيين، وهو أن يكون من أهل الكفاية، وعلى معرفة بأحوال أخيه وتفاصيلها، مطيعاً له. وعلى هذا الشرط مدار الوزارة والإنابة والتعيين، وبه تنتظم السياسة والإدارة. ولا بد أن يطبق على قريبه مواد الدستور والقانون بحذافيرها، دون محاباة أو مجاملة أو عاطفة تجره إلى العفو عنه من المسائلة، بل يقر عليه قواعد الشرع، ثم يصدر مرسوم تعيينه بمواد صحيحة، لا مجرد تكليف، كما أقرها موسى على أخيه هارون: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٥٧).

جمل ثلاث قالها موسى لأخيه هارون تتضمن مرسوم تعيين من ثلاث مواد متلاحمة:

(١٥٤) ﴿بَرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ... أَلْكَافِرِينَ (١٥٥) عصر الخلافة الراشدة لأكرم بن ضياء العمري (ص ١٤٢) بتصرف.
(١٥٦) تفسير الشعراوي (١/ ٦٩٩٧) بتصرف.
(١٥٧) [الأعراف: ١٤٢].

المادة الأولى: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوِي﴾. المادة الثانية: ﴿وَأَصْلَحْ﴾: أي: في إدارتك وخلافتك لي. المادة الثالثة: ﴿وَلَا تَنْبَغْ سَكِيلُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١٤٢) ﴿مَهْمَا كَانَتْ كَثْرَتُهُمْ، فَاحْزَمْ أَمْرَكَ وَلَا تَتَّبِعْهُمْ مَدَارِيَا لَهُمْ (١٥٨)﴾.

بل فإن من حق الإنسان أن يطلب الولاية إذا تعين عليه ذلك بأن يرى أمرا يتعرض له غير ذي خبرة يفسد هذا الأمر، وهو يعلم وجه الصلاح في نفسه، بل أن طالب الولاية في هذا الموضوع يجب أن تتوفر فيه شروط ثلاثة في غاية الأهمية: الأول: أن لا يطلب الولاية لنفسه إلا إذا وجد كامل الثقة في إنجاح المهمة. الثاني: أن يهدف لحجب من ليس خبرة أن يتولى منصبا لا يعلم إدارته، ويشعر أنه أفضل منه. الثالث: أن يكون هدفه الأسمى إنقاذ المجتمع ورضى الله تعالى، لا هدف دنيوي أو طمع مادي. ويتمثل قول يوسف عليه السلام للملك: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾^(١٥٩). وبذلك المعايير إن صدقت النوايا يظهر وجه الحق، ويزيل سيطرة الباطل، في التخلص من كابوس الظلم وطغيان طغاة العصر، عباد الشيطان، وأعداء الأنبياء والرسالات، كما صنع موسى وهارون مع أكبر طاغية في التاريخ وأمثال من ذكر، وسيحقق الوعد الصادق كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحَرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾^(١٦٠) ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾^(١٦١) وحسن ختام المطلب والبحث والبحث برمته، بهذه الآية كونها الوحيدة بدأت بهارون قبل موسى ترتيبا في السياق، إذ لم يكن ترتيبها لفظي فحسب، بل يحمل إشارات دقيقة، أولها: أن لحظة سجود السحرة كانت أعظم لحظة انتصار للدعوة، وأن لحظة الانتصار كانت منسوبة إليها معا، وهو ما يعمق مبدأ التكامل الأخوي لقصة موسى وهارون عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وثوبه الأصيل، وتطبيقاته المعاصرة، يجب أن تتجلى بوضوح بين كل قاصدي الحق في مشروعهم التحرري، الذين بهم وفيهم صلاح البلاد والعباد، ثم تيارات وطوائف وجماعات الدعوة كلها، بل ويجب أن يكون التكامل الأخوي سلسلة مترابطة من الفرد إلى الفرد، ومن الفرد إلى الأسرة، ومن الأسرة إلى المجتمع، ومن المجتمع إلى الدعوة، ومن الدعاة إلى الراعي، ومن الراعي للرعية،

(١٥٨) البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حنكة الميداني الدمشقي (٤٦٣/٢).

(١٥٩) تفسير الشعراوي (١١/٦٩٩٨ - ٦٩٩٩) يتصرف والآية من [يوسف: ٥٥].

ومن الرعية للراعي، ومن الأعلى إلى الأدنى، ومن الأدنى إلى الأعلى. وهكذا تكتمل الصورة ويتحقق الهدف وتكتمل الغايات (١٦٠).



(١٦٠) موسوعة فقه القلوب للتويجري (٣/ ٢٣٥١).

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج.

- ١- النفوس الأصيلة إذا ارتقت تكون جبال مسندة، وأمّهات حنونة، وآباء عطوفة، وقرينتها إذا أوتيت فضلاً، أشركت فيه من تحب وتوقّر، والإخوة الصغار لا يرون في الكبار منافسة، بل يرونهم سنداً وظهراً.
- ٢- تميز موسى عليه السلام بالحزم والغيرة على الحق، وظهر ذلك في مواقفه الكثيرة، بينما عُرف هارون باللين والرفق.
- ٣- القيادة المتكاملة تجمع بين الرؤية الاستراتيجية والبيان المؤثر، ونموذج موسى وهارون عليهما السلام يُعد مدرسة في التكامل الرسالي والعملي.
- ٤- عالم اليوم يفتقر لنموذج موسى وهارون عليهما السلام الرفيع من التكامل وعجز عن تطبيقاته الواقعية متأثراً بالعولمة المعاصرة والنزعات المادية والتفرد بالرأي.
- ٥- نجاح الدعوة وازدهار الدولة في الواقع المعاصر لا يتحقق بمجهود واحد أو فرد مجاهد أو خطيب متحمس، بل يحتاج إلى تكامل بين العلماء والمربين والقادة والإعلاميين والباحثين والمفكرين، ويجب أن يعملوا بروح الفريق الواحد لا روح الفرد.
- ٦- انطفاء القدوات في نظر الجيل الجديد حين يرون تنازع القادة والعلماء حل محل التكامل والإخاء، والتاريخ يثبت أن كل أمة تفرقت إراداتها سقطت، وكل أمة تكاملت إدارتها نهضت.
- ٧- التكامل الأخوي ضرورة شرعية لحفظ وحدة الصف الدعوي والسياسي والحكومي، والتنوع في المدارس الفكرية يجب أن يكون مصدر غنى وإبداع، لا سبيل شقاق وتنافر وعقوق.
- ٨- نص الكتاب والسنة وتقريرات سلف الأمة على جواز اتخاذ الأقارب الأكفاء في العمل القيادي والإداري والدعوي.

ثانياً: التوصيات.

- ١- الاهتمام بدراسة حياة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وتطبيقها على المؤسسات الدعوية والقيادية، وشركاء العمل، والإثبات أنها ليست ضعفاً، بل قوة تدعم الاستقرار المؤسسي.
- ٢- ضرورة اعتراف القادة (الصغار أو المبتدئين) بحاجتهم إلى سند الخبراء الكبار مهما كبروا.

- ٣- تشجيع الآباء للأبناء على التعاون والتكامل، بدءاً بالمهام العائلية ثم المجتمعية، واحترام الصغير للكبير، وعطف الكبير على الصغير حتى ينشأ الأبناء على ثقافة التكامل الأخوي.
- ٤- حصر الكفاءات والتميزين وإحصائهم، ودراسة أحوالهم دراسة علمية دقيقة، للعمل على استثمار طاقاتهم، وإخراجها من العزلة إلى العمل التكاملي، والإشادة والتشجيع بدور المبدعين.
- ٥- مبدأ التكامل الأخوي لقصة موسى وهارون عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم بثوبه الأصيل وتطبيقاته المعاصرة يجب أن يكون سلسلة من الأعلى إلى الأدنى، ومن الأدنى إلى الأعلى، لتكتمل الصورة ويتحقق الهدف في المشروع الدعوي والتحرري.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
- ١- اتفاق المباني وافتراق المعاني لسليمان بن بنين بن خلف بن عوض، تقي الدين، الدقيقي المصري (ت: ٦١٣هـ) تحقيق: يحيى عبدالرؤوف جبر، دار عمار-الأردن، ط/١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٢- الأحكام السلطانية لأبي يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت: ٤٥٨هـ)، صححه: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٣- الأحكام السلطانية لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة- مصر.
- ٤- أحكام القرآن لمحمد بن عبدالله ابن العربي أبو بكر، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.
- ٥- الأخوة أيها الإخوة لأبي العلاء محمد بن حسين بن يعقوب السلفي المصري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، دون طبعة.
- ٦- إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري لـ د خالد بن عبدالرحمن بن علي الجريسي، موافق، دون طبعة.
- ٧- أضواء البيان لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة، بيروت، عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٨- البحر المديد لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٩- بصائر ذوى التمييز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
- ١٠- البلاغة العربية لبلاغة العربية لعبدالرحمن بن حسن حَبَّكَّة الميداني الدمشقي، (ت: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ط/١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ١١- بيان المعاني لعبدالقادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني، (ت: ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقى، دمشق ط/١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م.
- ١٢- تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، (ت: ٥٧١هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة.
- ١٣- التبر المسبوك في نصيحة الملوك لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (ت: ٥٠٥هـ)، صححه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

- ١٤- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت: ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط/١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٥- تفسير البيضاوي، لناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار الفكر، بيروت.
- ١٦- التفسير الحديث لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط/ ١٣٨٣هـ.
- ١٧- تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي، (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، لعام ١٩٩٧م.
- ١٨- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (٧٧٤-٧٠٠هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ١٩- تفسير القرآن لأحمد مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٢٠- تفسير المنار لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة القلموني الحسيني، (ت: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.
- ٢١- التفسير المنير في العقيدة والشريعة لوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، سنة الطبع: ١٤١٨هـ.
- ٢٢- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم لأحمد بن عبدالله الزهراني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأعداد ٨٥-١٠٠ السنوات ٢٢-٢٥ المحرم ١٤١٠هـ - ذو الحجة ١٤١٣هـ.
- ٢٣- التفسير الوسيط لـ د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط/١، ١٤٢٢هـ.
- ٢٤- التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط/١، (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) - (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).
- ٢٥- التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط/١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٢٦- التيسير في أحاديث التفسير لمحمد المكي الناصري (ت: ١٤١٤هـ)، دار الغرب، بيروت ط/١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٢٧- جامع الأصول لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط ثم بشير عون، الناشر: مكتبة الحلواني، ومكتبة دار البيان، ط/١.
- ٢٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.

- ٢٩- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي، (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية ط/ ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م.
- ٣٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت.
- ٣١- روح المعاني في تفسير القرآن لمحمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث.
- ٣٢- الرياض النضرة في مناقب العشرة لأبي العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري، (ت: ٦٩٤ هـ)، دار الكتب العلمية، ط/ ٢.
- ٣٣- السراج المنير لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، (ت: ٩٧٧ هـ)، مطبعة بولاق الأميرية القاهرة، عام ١٣٨ هـ.
- ٣٤- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، (ت: ٢٧٣ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ٣٥- شرح الطحاوية لعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين، (ت: ١٤٣٠ هـ) مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net>.
- ٣٦- شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن ناصباً لسليمان بن صالح الخراشي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط/ ١، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.
- ٣٧- الصحيح لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٣٨- عصر الخلافة الراشدة لمحاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين لأكرم بن ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/ ١، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م.
- ٣٩- العواصم من القواصم للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، (ت: ٥٤٣ هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، ومحمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل، بيروت، ط/ ٢، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.
- ٤٠- فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، (ت: ١٣٠٧ هـ) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة، ص صيدا، بيروت، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م.
- ٤١- فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠ هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، ط/ ١، ١٤١٤ هـ.
- ٤٢- في ظلال القرآن لسيد قطب، ط/ ٢، ١٩٧١ م دار إحياء التراث العربي بيروت.

- ٤٣- القيم الإسلامية، كتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، عدد صفحات (الكتاب الورقي) ٥٦.
- ٤٤- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٥- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٤٦- كنز العمال لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالملكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ).
- ٤٧- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط/٣، ١٤١٤هـ.
- ٤٨- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لمحمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح بن محمد، (ت: ١٣٨٨هـ)، دار إحياء الكتب العربية، محمد الحلبي دار الحديث، القاهرة، بتاريخ: ١٤٠٧هـ - ٩٨٦م.
- ٤٩- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لـ د. عثمان جمعة ضميرية، تقديم: د/ عبدالله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط/٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ٥٠- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، (ت: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط/١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- ٥١- المسند للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ٥٢- مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه لمحمد بن علي بن آدم بن موسى، دار المغني، الرياض، ط/١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ٥٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، (ت: ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.
- ٥٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للحافظ أحمد بن علي الحكمي، (ت: ١٣٧٧هـ)، عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط/١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٥٥- معجم اللغة العربية المعاصرة، لـ د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت: ١٤٢٤هـ)، ط/١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ٥٦- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبدالقادر/ محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة موافق.

- ٥٧- معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، ط/ ٢، دار النفائس، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٥٨- مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، (ت: ٦٠٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٥٩- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق-بيروت، ط/ ١، ١٤١٢هـ.
- ٦٠- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، (ت: ٩٠٢هـ) المحقق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٦١- مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٦٢- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، (ت: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٦٣- منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التأليف لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر ط/ ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٦٤- الموالات والمعاداة في الشريعة الإسلامية، لمحاس بن عبد الله بن محمد الجلعود، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط/ ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٦٥- المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة - الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط/ السنة ٩ - العدد الرابع - ربيع أول ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م موافق.
- ٦٦- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف الإسلامية الكويت ط/ (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ).
- ٦٧- الموسوعة القرآنية، خصائص السور لجعفر شرف الدين المحقق: عبدالعزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط/ ١، ١٤٢٠هـ.
- ٦٨- موسوعة فقه القلوب لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر بيت الأفكار الدولية، عدد الأجزاء: ٤ (في ترقيم مسلسل واحد) موافق للمطبوع.
- ٦٩- موقف الشيخ الغزالي من السنة النبوية ليوسف عبدالله القرضاوي، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، ٨ - ١٤١٥هـ.
- ٧٠- النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، لأحمد عبد الوهاب، الناشر: مكتبة وهبة، موافق بدون طبعة.

- ٧١- نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبدالله بن حميد، إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة ط/ ٤.
- ٧٢- النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب، بيروت - لبنان.

Romanization of references

The Holy Qur'an, according to the narration of Ḥafṣ from 'Āṣim.

1- Ibn Banīn, Sulaymān ibn Banīn ibn Khalaf ibn 'Awd, *Taqī al-Dīn al-Daḥīqī al-Miṣrī* (d. 613 AH). *Ittiḥāq al-Mabānī wa Iftirāq al-Ma'ānī* (Similarity of Structures and Difference of Meanings). Edited by Yaḥyā 'Abd al-Ra'ūf Jabr. Dār 'Ammār, Jordan, 1st ed., 1405 AH / 1985 CE.

2- Abū Ya'īlā, Muḥammad ibn al-Ḥusayn ibn Muḥammad ibn Khalaf Ibn al-Farrā' (d. 458 AH). *Al-Aḥkām al-Sulṭāniyyah* (Ordinances of Governance). Verified by Muḥammad Ḥāmid al-Fiḍī. Dār al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 2nd ed., 1421 AH / 2000 CE.

3- Al-Māwardī, Abū al-Ḥasan 'Alī ibn Muḥammad ibn Muḥammad ibn Ḥabīb al-Baṣrī al-Baḥdādī (d. 450 AH). *Al-Aḥkām al-Sulṭāniyyah*. Dār al-Ḥadīth, Cairo.

4- Ibn al-'Arabī, Muḥammad ibn 'Abd Allāh, Abū Bakr. *Aḥkām al-Qur'ān* (Rulings of the Qur'an). Edited by Muḥammad 'Abd al-Qādir 'Aṭā. Dār al-Fikr for Printing and Publishing, Lebanon.

5- Al-Salaḥī al-Miṣrī, Abū al-'Alā' Muḥammad ibn Ḥusayn ibn Ya'qūb. *Al-Ukhuwwah Ayyuhā al-Ikhwah* (Brotherhood, O Brothers). Al-Maktabah al-Islāmiyyah, Cairo, n. d.

6- Al-Juraysī, Khālīd ibn 'Abd al-Raḥmān ibn 'Alī. *Time Management from an Islamic and Administrative Perspective*. Mawāfiq, n. d.

7- Al-Shanqīṭī, Muḥammad al-Amīn ibn Muḥammad al-Mukhtār al-Jaknī (d. 1393 AH). *Aḍwā' al-Bayān fī Idāḥ al-Qur'ān bil-Qur'ān*. Edited by the Research and Studies Office. Dār al-Fikr, Beirut, 1415 AH / 1995 CE.

8- Ibn 'Ajībah, Aḥmad ibn Muḥammad ibn al-Mahdī al-Ḥasanī al-Idrīsī al-Shādhilī, Abū al-'Abbās. *Al-Baḥr al-Madīd fī Tafsīr al-Qur'ān al-Majīd*. Dār al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 2nd ed., 1423 AH / 2002 CE.

9- Al-Fayrūzābādī, Majd al-Dīn Abū Ṭāhir Muḥammad ibn Ya'qūb (d. 817 AH). *Baṣā'ir Dhawī al-Tamyīz*. Edited by Muḥammad 'Alī al-Najjār. Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo.

10- Al-Maydānī, 'Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan Ḥabannakah (d. 1425 AH). *Arabic Rhetoric (Al-Balāghah al-'Arabiyyah)*. Dār al-Qalam, Damascus; Al-Dār al-Shāmiyyah, Beirut, 1st ed., 1416 AH / 1996 CE.

11- Al-'Ānī, 'Abd al-Qādir ibn Mullā Ḥuwaysh al-Sayyid Maḥmūd Āl Ghāzī (d. 1398 AH). *Bayān al-Ma'ānī*. Al-Taraqī Printing Press, Damascus, 1st ed., 1382 AH / 1965 CE.

12- *History of Damascus* by Abu al Qasim Ali ibn al Hasan ibn Hibat Allah known as Ibn Asakir died 571 AH edited by Amr ibn Gharamah al Umrawi Dar al Fikr for Printing

13- *Al Tibr al Masbuk fī Nasihat al Muluk* by Abu Hamid Muhammad ibn Muhammad al Ghazali al Tusi died 505 AH verified by Ahmad Shams al Din Dar al Kutub al Ilmiyyah Beirut first edition 1409 AH 1988 CE.

14- *Al Tahrir wa al Tanwir* by Muhammad al Tahir ibn Muhammad ibn Muhammad al Tahir ibn Ashur al Tunisi died 1393 AH Arab History Foundation Beirut Lebanon first edition 1420 AH 2000 CE.

15- *Tafsir al Baydawi* by Nasir al Din Abu al Khayr Abdullah ibn Umar ibn Muhammad al Baydawi Dar al Fikr Beirut.

16- *Al Tafsir al Hadith* by Darwazah Muhammad Izzat Dar Ihya al Kutub al Arabiyyah Cairo 1383 AH.

17- *Tafsir al Sharaawi* by Muhammad Mutawalli al Sharaawi died 1418 AH Akhbar al Yawm Press 1997 CE.

18- *Tafsir al Quran al Azim* by Abu al Fida Ismail ibn Umar ibn Kathir al Qurashi al Dimashqi lived between 700 AH and 774 AH edited by Sami ibn Muhammad Salamah Dar Taybah for Publishing and Distribution second edition 1420 AH 1999 CE.

19- *Tafsir al Quran* by Ahmad Mustafa al Maraghi Mustafa al Babi al Halabi and Sons Library and Press Egypt.

20- *Tafsir al Manar* by Muhammad Rashid ibn Ali Rida ibn Muhammad Shams al Din ibn Muhammad Baha al Din ibn Ali Khalifah al Qalamuni al Husayni died 1354 AH General Egyptian Book Authority 1990 CE.

21- *Al Tafsir al Munir fi al Aqidah wa al Shariah* by Wahbah ibn Mustafa al Zuhayli Dar al Fikr al Muasir Beirut 1418 AH.

22- *Al Tafsir al Mawdui lil Quran al Karim* by Ahmad ibn Abdullah al Zahrani Islamic University of Madinah issues 85 to 100 years 22 to 25 Muharram 1410 AH to Dhu al Hijjah 1413 AH.

23- *Al Tafsir al Wasit* by Wahbah ibn Mustafa al Zuhayli Dar al Fikr Damascus first edition 1422 AH.

24- *Al Tafsir al Wasit* by a group of scholars under the supervision of the Islamic Research Academy at Al Azhar General Authority for Amiri Press Affairs first edition 1393 AH 1973 CE to 1414 AH 1993 CE.

25- *Al Tawqif ala Muhimmat al Taarif* by Zayn al Din Muhammad known as Abd al Raouf ibn Taj al Arifin ibn Ali ibn Zayn al Abidin al Haddadi then al Manawi al Qahiri died 1031 AH Alam al Kutub Cairo first edition 1410 AH 1990 CE.

26- *Al Taysir fi Ahadith al Tafsir* by Muhammad al Makki al Nasiri died 1414 AH Dar al Gharb Beirut first edition 1405 AH 1985 CE.

27- *Jami al Usul* by Majd al Din Abu al Saadat al Mubarak ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al Karim al Shaybani al Jazari Ibn al Athir died 606 AH edited by Abd al Qadir al Arnout then Bashir Awn Al Halwani Library and Dar al Bayan Library first edition.

28- *Al Jami al Musnad al Sahih al Mukhtasar min Umur Rasul Allah sallallahu alayhi wa sallam wa Sunanih wa Ayyamih Sahih al Bukhari* by Muhammad ibn Ismail Abu Abdullah al Bukhari al Jufi edited by Muhammad Zuhayr ibn Nasir al Nasir Dar Tawq al Najah.

29- *Al Jami li Ahkam al Quran* by Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr ibn Farah al Ansari al Khazraji Shams al Din al Qurtubi died 671 AH edited by Hisham Samir al Bukhari Dar Alam al Kutub Riyadh Kingdom of Saudi Arabia 1423 AH 2003 CE.

30- *Al Durr al Manthur fi al Tafsir bil Mathur* by Abd al Rahman ibn Abi Bakr Jalal al Din al Suyuti died 911 AH Dar al Fikr Beirut

Ruh al Maaani fi Tafsir al Quran by Mahmud al Alusi Abu al Fadl Dar Ihya al Turath Beirut.

31- *Al Riyad al Nadirah fi Manaqib al Asharah by Abu al Abbas Ahmad ibn Abdullah ibn Muhammad Muhibb al Din al Tabari died 694 AH Dar al Kutub al Ilmiyyah second edition.*

32- *Al Siraj al Munir by Shams al Din Muhammad ibn Ahmad al Khatib al Shirbini al Shafii died 977 AH Bulaq Amiri Press Cairo 138 AH.*

33- *Sunan Ibn Majah by Abu Abdullah Muhammad ibn Yazid al Qazwini Ibn Majah is the name of his father Yazid died 273 AH.*

34- *edited by Muhammad Fuad Abd al Baqi Dar Ihya al Kutub al Arabiyyah Faysal Issa al Babi al Halabi.*

35- *Sharh al Tahawiyya by Abdullah ibn Abdulrahman ibn Abdullah ibn Ibrahim ibn Fahd ibn Hamad ibn Jibrin died 1430 AH source of the book audio lessons transcribed by Islamweb <http://www.islamweb.net>.*

36- *Shaykh al Islam Ibn Taymiyya lam yakun Nasibiyan by Sulayman ibn Salih al Kharashi Dar al Watan for Publishing Riyadh first edition 1419 AH 1998 CE.*

37- *Sahih Muslim by Muslim ibn al Hajjaj Abu al Hasan al Qushayri al Nisaburi died 261 AH edited by Muhammad Fuad Abd al Baqi Dar Ihya al Turath al Arabi Beirut.*

38- *Asr al Khilafa al Rashida Muhawala li Naqd al Riwaya al Tarikhiyya waqf Manhaj al Muhaddithin by Akram ibn Diya al Umari Obekan Library Riyadh first edition 1430 AH 2009 CE.*

39- *Al Awasim min al Qawasim by al Qadi Muhammad ibn Abdullah Abu Bakr ibn al Arabi al Muafiri al Ishbili al Maliki died 543 AH edited by Muhibb al Din al Khatib and Mahmoud Mahdi al Istanbul Dar al Jil Beirut second edition 1407 AH 1987 CE.*

40- *Fath al Bayan fi Maqasid al Quran by Abu al Tayib Muhammad Sadiq Khan ibn Hasan ibn Ali ibn Lutf Allah al Husayni al Bukhari al Qinnouji died 1307 AH reviewed by Abdullah ibn Ibrahim al Ansari Al Asriya Library Printing Saida Beirut 1412 AH 1992 CE.*

41- *Fath al Qadir by Muhammad ibn Ali ibn Muhammad ibn Abdullah al Shawkani al Yamani died 1250 AH Dar Ibn Kathir Dar al Kalam al Tayyib Damascus Beirut first edition 1414 AH.*

42- *Fi Zilal al Quran by Sayyid Qutb second edition 1971 Dar Ihya al Turath al Arabi Beirut.*

43- *Al Qiyam al Islamiyya published on the website of the Saudi Ministry of Awqaf without publication data pages of printed book 56.*

44- *Al Kashaf an Haqa'iq al Tanzil wa Uyoon al Aqawil fi Wujuh al Ta'wil by Abu al Qasim Mahmoud ibn Umar al Zamakhshari al Khwarizmi edited by Abd al Razzak al Mahdi Dar Ihya al Turath al Arabi Beirut.*

45- *Al Kulliyat Mu'jam fi al Mustalahat wa al Furūq al Lughawiyya by Ayub ibn Musa al Husayni al Qarimi al Kafawi Abu al Baqa al Hanafi died 1094 AH edited by Adnan Darwish and Muhammad al Masri Dar al Risala Beirut.*

46- *Kanz al Ummal* by Alaa al Din Ali ibn Husam al Din ibn Qadi Khan al Qadri al Shadhili al Hindi al Burhanfuri then al Madani al Makki known as al Muttaqi al Hindi died 975 AH

47- *Lisan al Arab* by Muhammad ibn Makram ibn Ali Jamal al Din Ibn Manzur al Ansari al Ifriqi died 711 AH Dar Sader Beirut third edition 1414 AH

48- *Al Lulu wal Marjan fi ma Ittafaqa al Shaykhan* by Muhammad Fuad ibn Abd al Baqi ibn Salih ibn Muhammad died 1388 AH Dar Ihya al Kutub al Arabiyya Muhammad al Halabi Dar al Hadith Cairo 1407 AH 986 CE

49- *Madkhal li Dirasat al Aqidah al Islamiyya* by Dr Uthman Jumaa Damiriyya introduction by Dr Abdullah ibn Abd al Karim al Abadi Al Suwadi Library second edition 1417 AH 1996 CE

50- *Marqat al Mafatih Sharh Mishkat al Masabih* by Ali ibn Sultan Muhammad Abu al Hasan Nur al Din al Mulla al Harawi al Qari died 1014 AH Dar al Fikr Beirut Lebanon first edition 1422 AH 2002 CE

51- *Al Musnad* by Imam Ahmad ibn Hanbal edited by Shuayb al Arnout and others Dar al Risala second edition 1420 AH 1999 CE

52- *Mashariq al Anwar al Wahhaja wa Mataali al Asrar al Bahaja fi Sharh Sunan al Imam Ibn Majah* by Muhammad ibn Ali ibn Adam ibn Musa Dar al Mughni Riyadh first edition 1427 AH 2006 CE

53- *Al Misbah al Munir fi Gharib al Sharh al Kabir* by Ahmad ibn Muhammad ibn Ali al Fayyumi then al Hamawi Abu al Abbas died 770 AH Al Maktaba al Ilmiyya Beirut

54- *Ma'arij al Qubool Sharh Sallam al Wusul ila Ilm al Usul* by al Hafiz Ahmad ibn Ali al Hakami died 1377 AH Umar ibn Mahmoud Abu Umar Dar Ibn al Qayyim Dammam first edition 1410 AH 1990 CE

55- *Mu'jam al Lughah al Arabiyya al Mu'asirah* by Dr Ahmad Mukhtar Abd al Hamid Umar died 1424 AH first edition 1429 AH 2008 CE

56- *Al Mu'jam al Wasit* by Arabic Language Academy Cairo Ibrahim Mustafa Ahmad al Zayyat Hamid Abd al Qadir Muhammad al Najjar Dar al Da'wah

57- *Mu'jam Lughah al Fuqaha* by Muhammad Rwas Qalaji Hamid Sadiq Qunibi second edition Dar al Nafa'is 1408 AH 1988 CE

58- *Mafatih al Ghayb* by Fakhr al Din Muhammad ibn Umar al Tamimi al Razi al Shafi'i died 604 AH Dar al Kutub al Ilmiyya Beirut 1421 AH 2000 CE.

59- *Al Mufradat fi Gharib al Quran* by Abu al Qasim al Husayn ibn Muhammad known as al Raghib al Isfahani died 502 AH edited by Safwan Adnan al Dawudi Dar al Qalam Damascus Beirut first edition 1412 AH.

60- *Al Maqasid al Hasana fi Bayan Kathir min al Ahadith al Mushtahira ala al Alsina* by Shams al Din Abu al Khair Muhammad ibn Abdulrahman ibn Muhammad al Sakhawi died 902 AH edited by Muhammad Uthman al Khasht Dar al Kitab al Arabi Beirut first edition 1405 AH 1985 CE.

61- *Maqayis al Lughah* by Ahmad ibn Faris ibn Zakariya al Qazwini al Razi Abu al Husayn died 395 AH edited by Abd al Salam Muhammad Harun Dar al Fikr 1399 AH 1979 CE.

62- *Malak al Ta'wil al Qati' bi Dhawi al Ilhad wa al Ta'til* by Ahmad ibn Ibrahim ibn al Zubayr al Thaqafi al Gharnati Abu Ja'far died 708 AH footnotes by Abd al Ghani Muhammad Ali al Fasi Dar al Kutub al Ilmiyya Beirut Lebanon.

63- *Manhaj Shaykh al Islam Muhammad ibn Abd al Wahhab fi al Ta'lif* by Abdul Mohsin ibn Hamad ibn Abdul Mohsin ibn Abdullah ibn Hamad al Abbad al Badr first edition 1425 AH 2004 CE.

64- *Al Mawalah wa al Mu'adah fi al Shari'ah al Islamiyya* by Muhmas ibn Abdullah ibn Muhammad al Jal'ud Dar al Yaqin for Publishing and Distribution first edition 1407 AH 1987 CE.

65- *Al Mo'tamar al 'Alami li Tawjih al Da'wah wa I'dad al Duaa Islamic University Al Madinah* first edition year 9 issue 4 Rabi' al Awwal 1397 AH 1977 CE.

66- *Al Mawsu'ah al Fiqhiyya al Kuwaitiyya* issued by Ministry of Islamic Awqaf Kuwait 1404 AH to 1427 AH.

67- *Al Mawsu'ah al Qur'aniyya Khasais al Suwar* by Ja'far Sharaf al Din edited by Abd al Aziz ibn Uthman al Twaijzi Dar al Taqrib bayn al Madhahib al Islamiyya Beirut first edition 1420 AH.

68- *Mawsu'at Fiqh al Qulub* by Muhammad ibn Ibrahim ibn Abdullah al Twaijri International House of Ideas four volumes consecutively.

69- *Mawqif al Shaykh al Ghazali min al Sunnah al Nabawiyya* by Yusuf Abdullah al Qaradawi Majallat Markaz Buhuth al Sunnah wa al Sirah 8 1415 AH.

70- *Al Nubuwwah wa al Anbiya fi al Yahudiyya wa al Masihiyya wa al Islam* by Ahmad Abd al Wahhab Wahbah Library no edition.

71- *Nazrat al Na'im fi Makarim Akhlaq al Rasul al Karim* by a group of specialists supervised by Sheikh Saleh ibn Abdullah ibn Hamid Imam and Khateeb of al Haram al Makki Dar al Wasilah for Publishing and Distribution Jeddah fourth edition.

72- *Al Nukat wa al Uyoon* by Abu al Hasan Ali ibn Muhammad ibn Habib al Mawardi al Basri edited by al Sayyid ibn Abd al Maqsum ibn Abd al Rahim Dar al Kutub Beirut Lebanon.